19me, année No 959

Le Caire 19 — 11 — 1951

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٩٥٩ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٩ صفر سنة ١٣٧١ — ١٩ نوفمبر سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة »

أمريكا التى رأيت :

فى ميزان القيم الانسانية

للأستاذ سيد قطب

(٢)

يبدو الأمريكى — على الرغم من العلم المتقدم والعمل المتقن — بدائيا فى نظريته إلى الحياة ، ومقوماتها الإنسانية الأخرى بشكل يدعو إلى الدهشة . ولعل لهذا التناقض الواضح أثره فى ظهور الأمريكان بمظهر الشعب الغريب الأطوار فى نظر الأجانب ، الذين يراقبون حياة الشعب من بعيد ؛ وبعجزهم التوفيق بين هذه الحضارة الصناعيـة الفائقة ، وذلك النظام الدقيق فى إدارة الأعمال ، وإدارة الحيـاة . . وبين هذه البدائية فى الشعور والسلوك ، تلك البدائية التى تذكر بعهود الغابات والـكهوف !

يبدو الأمريكى بدائيا فى الإعجاب بالقوى العضلية ، والقوى المادية بوجه عام ، بقدر ما يستهين بالمثل والمبادئ والأخلاق ، فى حياته الفردية ، وفى حياته العائلية ، وفى حيـاته الاجتماعية — فيما عدا دائرة العمل بأنواعه ، وعلاقات الاقتصاد والمال — ومنظر الجماهير وهى تتتبع مباريات كرة القدم ، على الطريقة الأمريكية الخشنة التى ليس لهـا من اسمها (كرة القدم) أى نصيب ، إذ أن « القدم » لا تشترك فى اللعب ، إنما يحاول كل لاعب أن يخطف الـكرة بين يديه ، ويجرى بها ليقذف بهـا إلى الهدف ، بينما يحاول لاعبو الفريق الآخر أن يعوقوه بكل وسيلة ، بما فى ذلك : الضرب فى البطن ، وتهشيم الأذرع والسيقان ، بكل عنف وكل شراسة .. منظر الجماهير وهى تتتبع هذه اللعبة ، أو تشاهد حفلات الملاكمة والمصارعة الوحشية الدامية .. منظرها فى هياجها الحيوانى ، المنبعث من إعجابها بالعنف القاسى ، وعدم التفاتها إلى قواعد اللعب وأصوله ، بقدر ما هى مأخوذة بالدم السائل والأوصال المهشمة ، وصراخها هاتفة : كل يشجع فريقه : حطم رأسه . دق عنقه . هشم أضلاعه . اعجنه عجنا . . هذا المنظر لا يدع مجالا للشك فى بدائيـة الشعور التى تفتن بالقوة العضلية وتهواها

وبمثل هـذه الروح يتابع الجمهور الأمريكى صراع الجماعات والطوائف ، وصراع الأمم والشعوب . ولست أدرى كيف راجت فى العالم — وبخاصة فى الشرق — تلك الخرافة العجيبة . خرافة أن الشعب الأمريكى شعب محب للسلام !

إن الأمريكى بفطرته محارب محب للصراع . وفـكرة الحرب والصراع قوية فى دمه ، بارزة فى سلوكه ؛ وهذا هو الذى يتفق مع تاريخه كذلك . فقد خرجت الأفواج الأولى من أوطانهـا قاصدة إلى أمريكا بفكرة الاستعمار والمنافسة والصراع . وهناك

قاتل بعضهم بعضاً وهم جماعات وأفواج . ثم قاتلوا جميعاً سكان البلاد الأصليين (الهنود الحمر) وما يزالون يحاربونهم حرب إفناء حتى اللحظة الحاضرة . ثم قاتل العنصر الأنجلو سكسونى العنصر اللاتينى هناك ، وطارده إلى الجنوب فى أمريكا الوسطى والجنوبية ، ثم حارب المتأمركون أمهم الأولى إنجلترا فى حرب التحرير بقيادة « جورج وشنطن » حتى نالوا استقلالهم عن التاج البريطانى . ثم حارب الشمال الجنوب بقيادة « ابراهام لنكولن » تلك الحرب التى اتسمت بسمة « تحرير العبيد » وإن كانت دوافعها الحقيقية هى المنافسة الاقتصادية . ذلك أن العبيد المستجلبين من أواسط إفريقية ليعملوا فى الأرض رقيقاً ، لم يستطيعوا مقاومة الطقس البارد فى الشمال ، فنزحوا إلى الجنوب . وكان معنى هذا أن يجد المستعمرون فى الولايات الجنوبية الأيدى العاملة الرخيصة ، على حين لا يجدها الشماليون ، فيتم لهم التفوق الاقتصادى ؛ لذلك أعلن الشماليون الحرب لتحرير العبيد !

وانقضت فترة العزلة ، وانتهت سياستها ، عندما دخلت أمريكا الحرب العالمية الأولى ؛ ثم اصطلمت بالحرب العالمية الثانية . ثم ها هى ذى تنهض بالحرب فى كوريا . والحرب العالمية الثالثة ليست بالبعيدة ! ولست أدرى إذن كيف راجت تلك الخرافة العجيبة عن شعب هذا تاريخه فى الحروب ؟

إن الحيوية المادية عند الأمريكى مقدسة ، والضعف — أياً كانت أسبابه — جريمة . جريمة لا يغتفرها شئ . ولا تستحق عطفاً ولا عوناً . وحكاية المبادئ والحقوق خرافة فى ضمير الأمريكى لا يتذوق لها طعماً . كن قوياً ولك كل شئ . أو كن ضعيفاً فلا يسعفك مبدأ ، ولا يكون لك مكان فى مجال الحياة الفسيح . أما الذى يموت فيرتكب بالطبع جريمة الموت ! ويفقد كل حق له فى الاهتمام أو الاحترام ! أليس أنه قد مات ؟

كنت فى مستشفى « جورج وشنطن » فى وشنطن العاصمة ، وكان الوقت مساء حينما غمرت جوه موجة من الاضطراب غير معهودة ، وبدت فيه حركة غير عادية تستلفت النظر . وأخذ المرضى القادرون على الحركة يغادرون أسرتهم وحجراتهم إلى الماشى والأبهاء يتطلعون ؛ ثم جعلوا يتحلقون متسائلين عن سر تلك الظاهرة فى حياة المستشفى الهادئة . وعرفنا بعد فترة أن أحد موظفى المستشفى قد أصيب فى حادث مصعد ، وأنه فى حالة خطيرة بل فى دور الاحتضار . وذهب أحد المرضى الأمريكان ليرى بنفسه ، ثم عاد يقص على المتحلقين فى المشى ما رأى . . وحين يخيم شبح الموت على مكان ، لا تكون له رهبة ، ولا يكون للموت خشوعه كما يكون ذلك فى مستشفى . . ولكن هذا الأمريكانى أخذ يضحك ويقهقه ، وهو يمثل هيئة المصاب المحتضر ، وقد دق المصعد عنقه ، وهشم رأسه ، وتدلى لسانه من فمه على جانب وجهه ! وانتظرت أن أسمع أو أرى علائم الامتعاض والاستنكار من المستمعين . ولكن كثرتهم الغالبة جعلت تضحك متفكهة ، بهذا التمثيل البغيض !

لذلك لم أعجب وبعض أصدقائى يقص على ما رأى وما سمع ، حول الموت ووقعه فى نفوس الأمريكان

قال لى زميل : إنه كان حاضر مأتم ، حيثما عرضت جثة رب البيت محنطة فى صندوق زجاجى — على العادة الأمريكية — كيما يمر أصدقاء الفقيد بجثمانه ، ليودعوه الوداع الأخير ، ويلقوا عليه النظرة النهائية ، واحداً بعد الآخر فى صف طويل . حتى إذا انتهى المطاف وتجمعوا فى حجرة الاستقبال ؛ ما راعه إلا أن يأخذ القوم فى دعابات وفكاهات ، حول الفقيد العزيز وحول سواه ، تشترك فيها زوجه وأهله ، وتعقبها الضحكات المجلجلة ، فى سكون الموت البارد ، وحول الجسد المسجى فى الأكفان !

وكان الأستاذ مدير البعثات المصرية بوشنطن مدعواً هو والسيدة حرمه إلى إحدى الحفلات — وقبيل الموعد مرضت السيدة حرمه ، فأمسك بالتليفون ليعتذر عن الحفلة بسبب هذا الطارئ . ولكن الداعين أجابوه بأنه لا ضرورة للاعتذار ، فإنه يمكنه أن يحضر منفرداً ، وستكون هذه فرصة طيبة ، ذلك أن إحدى المدعوات قد توفى زوجها فجأة قبيل الحفلة ، وستكون وحيدة فيها ، فمن حسن الحظ أن يكون لها رفيق !

ودخلت مرة بيت سيدة أمريكية كانت تساعدنى فى اللغة

الإنجليزية فى الفترة الأولى من وجودى فى أمريكا ؛ فوجدت عندها إحدى صديقاتها ، وكانتا تتحدثان فى موضوع لحقت أواخره ، وهذه الصديقة تقول : « لقد كنت حسنة الحظ ، فقد كنت مؤمنة على حياته . حتى علاجه لم يكلفنى إلا القليل لأنى كنت مؤمنة عليه فى هيئة الصليب الأزرق (١) » وابتسمت ضاحكة !

ثم استأذنت وخرجت ، وبقيت مع ربة البيت . وأنا أحسب أن صديقتها كانت تحدثها عن كلبها — وإن كنت قد دهشت لأنها لا تبدى أى تأثر لموته ! — ولكن ما راعنى إلا أن تقول لى — ولم أسأل ! — « كانت تحدثنى عن زوجها . لقد مات منذ ثلاثة أيام ! »

ولما أبديت لها دهشتى أن تتحدث صديقتها عن زوجها المتوفى منذ ثلاثة أيام بمثل هذه البساطة ، كان عذرها الذى لا يخالجها الشك فى أنه مقنع ووجيه : « إنه كان مريضاً ! لقد مرض أكثر من ثلاثة أشهر قبل الوفاة ! »

عادت بى الذاكرة إلى مشهد عميق الأثر فى شعورى ، وقد أثار فى خاطرى فى حينه منذ سنوات ... خاطرة لم تكتب بعنوان : « مأتم الطيور » ذلك مشهد جماعة من الفراخ كنا نربيها فى دارنا ، وقد وقفت متحلقة صامتة مبهورة مأخوذة ، حول فرخ منها ذبيح ، لقد كانت مفاجأة شعورية لكل من فى البيت ، مفاجأة غير منتظرة من طير غير متقدم فى سلم الرقى كالدجاج ، بل كانت صدمة لم نجرؤ بعدها منذ ذلك الحين على ذبح فرخ واحد على مرأى من جماعة الطيور !

ومنظر الغربان حين يموت لها مائت ، منظر مألوف شاهده الكثيرون . وهو منظر يصعب تفسيره بغير شعور « الحزن » أو « عاطفة » القرابة ! فهذه الجموع من الغربان ، الحلقة الصافة ، الناعقة بشتى الأصوات والأنغام ، الطائرة هنا وهناك ، حتى تحتمل جثمان الميت وتطير ... هذا كله يشى برجفة الموت فى عالم الطيور ..!

وقداسة الموت تكاد تكون شعورا فطريا . فليست البدائية الشعورية هى التى تطمسها فى النفس الأمريكية ؛ ولكنه جفاف الحياة من التعاطف الوجدانى ، وقيامها على معادلات حسابية مادية ، وعلى علاقات الجسد ودوافعه ، واستخفافها عمدا بكل ما يشعر أنه من مقدسات الناس فى العالم القديم ، والرغبة الملحة فى مخالفة ما تواضع عليه الناس هناك ، وإلا فما مزية الدنيا الجديدة على ذلك العالم القديم ؟

* * *

وما يقال عن الشعور بالموت يقال عن الشعور بالدين

ليس أكثر من الأمريكان تشييدا للكنائس ، حتى لقد أحصيت فى بلدة واحدة لا يزيد سكانها على عشرة آلاف أكثر من عشرين كنيسة ! وليس أكثر منهم ذهابا إلى الكنائس فى ليلات الأحد وأيامه ، وفى الأعياد العامة وأعياد القديسين المحليين وهم أكثر من « الأولياء » عند عوام المسلمين ! . . . وبعد ذلك كله ليس هناك من هو أبعد من الأمريكى عن الشعور بروحية الدين واحترامه وقداسته ، وليس أبعد من الدين عن تفكير الأمريكى وشعوره وسلوكه !

وإذا كانت الكنيسة مكانا للعبادة فى العالم المسيحى كله ، فإنها فى أمريكا مكان لكل شئ إلا العبادة . وإنه ليصعب عليك أن تفرق بينها وبين أى مكان آخر معد للهو والتسلية أو مايسمونه بلغتهم الـ « Fun » ومعظم قصادها إنما يعدونها تقليدا اجتماعيا ضروريا ، ومكانا للقاء والأنس ، ولتمضية وقت طيب ، وليس هذا شعور الجمهور وحده ، ولكنه كذلك شعور سدنة الكنيسة ورعاتها .

ولمعظم الكنائس ناد يتألف من الجنسين ، ويجتهد راعى كل كنيسة أن يلتحق بالكنيسة أكبر عدد ممكن ، وبخاصة أن هناك تنافسا كبيرا بين الكنائس المختلفة المذاهب . ولهذا تتسابق جميعا فى الإعلان عن نفسها بالنشرات المكتوبة وبالأنوار الملونة

(١) هيئة ضمان اجتماعية ضد المرض . وهى تتول أداء معظم النفقات فى أثناء علاج المشتركين بها ، مقابل قسط شهرى صغير

على الأبواب والجدران للفت الأنظار ، وبتقديم البرامج اللذيذة المشوقة لجلب الجماهير ، بنفس الطريقة التي تتبعها التاجر ودور العرض والتمثيل ، وليس هنالك من بأس في استخدام أجمل فتيات المدينة وأرشقهن ، وأبرعهن في الغناء والرقص والترويح

وهذه مثلا محتويات إعلان عن حفلة كنيسة ، كانت ملصقة في قاعة اجتماع الطلبة في إحدى الكليات :

« يوم الأحد أول أكتوبر — في الساعة السادسة مساء — عشاء خفيف . ألعاب سحرية . ألغاز . مسابقات . تسلية ... »

وليس في هذا أية غرابة ، لأن راعي الكنيسة لا يحس أن عمله يختلف في شيء من عمل مدير المسرح ، أو مدير المتجر . النجاح أولا وقبل كل شيء — والوسيلة ليست بالمهمة — وهذا النجاح يعود عليه بنتائجه الطيبة : المال والجاه . فكلما كثر عدد الملتحقين بكنيسته عظم دخله ، وزاد كذلك احترامه ونفوذه في بلده ، لأن الأمريكي بطبيعته يؤخذ بالفخامة في الحجم أو العدد ، وهي مقياسه الأول في الشعور والتقدير

كنت ليلة في إحدى الكنائس ببلدة جريلي بولاية كولورادو — فقد كنت عضوا في ناديها كما كنت عضوا في عدة نواد كنسية في كل جهة عشت فيها ، إذ كانت هذه ناحية هامة من نواحي المجتمع تستحق الدراسة عن كثب ومن الداخل — وبعد أن انتهت الخدمة الدينية في الكنيسة ، واشترك في التراتيل فتية وفتيات من الأعضاء ، وأدى الآخرون الصلاة ، دلفنا من باب جانبي إلى ساحة الرقص ، الملاصقة لقاعة الصلاة ، يصل بينهما الباب ؛ وصعد « الأب » إلى مكتبه ، وأخذ كل فتى بيد فتاة ، وبينهم وبينهن أولئك الذين واللواتي ، كانوا وكن ، يقومون بالترتيل ويقمن !

وكانت ساحة الرقص مضاءة بالأنوار الحمراء والصفراء والزرقاء ، وبقليل من المصابيح البيض .. وحمي الرقص على أنغام « الجراموفون » وسالت الساحة بالأقدام والسيقان الفاتنة ، والتفت الأذرع بالخصور ، والتقت الشفاه والصدور .. وكان الجو كله غراما حينما هبط « الأب » من مكتبه ، وألقى نظرة فاحصة على المكان ومن في المكان ، وشجع الجالسين والجالسات ممن لم يشتركوا في الحلبة على أن ينهضوا فيشاركوا ، وكأنما لحظ أن المصابيح البيض تفسد ذلك الجو « الرومانتيكي » الحالم ، فراح في رشاقة الأمريكاني وخفته يطفئها واحدا واحدا ، وهو يتحاشى أن يعطل حركة الرقص ، أو يصدم زوجا من الراقصين في الساحة . وبدا المكان بالفعل أكثر « رومانتيكية » وغراما . ثم تقدم إلى « الجراموفون » ليختار أغنية تناسب ذلك الجو ، وتشجع القاعدين والقاعدات على المشاركة فيه

واختار ... اختار أغنية أمريكيـــة مشهورة اسمها : « But baby it is cold out side » : ولكنها يا صغيرتي باردة في الخارج) وهي تتضمن حوارا بين فتى وفتاة عائدين من سهرتهما ، وقد احتجزها الفتى في داره ، وهي تدعوه أن يطلق سراحها لتعود إلى دارها فقد أمسى الوقت ، وأمها تنتظر .. وكلما تذرعت إليه بحجة أجابها بتلك اللازمة : « ولكنها يا صغيرتي باردة في الخارج !

وانتظر الأب حتى رأى خطوات بناته وبنيه ، على موسيقى تلك الأغنية المثيرة ؛ وبدا راضيا مغتبطا ، وغادر ساحة الرقص إلى داره ، تاركا لهم ولهن إتمام هذه السهرة اللذيذة ... البريئة !

وأب آخر يتحدث إلى صاحب لي عراقي ، قد توثقت بينه وبينه عرى الصداقة ، فيسأله عن « ماري » زميلته في الجامعة « لم لا تحضر الآن إلى الكنيسة ؟ ويبدي أنه لا يعنيه أن تغيب الفتيات جميعا وتحضر « ماري » ! وحين يسأله الشاب عن سر هذه اللهفة يجيب : « إنها جذابة ، وإن معظم الشبان إنما يحضرون وراءها ! »

ويحدثني شاب من شياطين الشبان العرب الذين يدرسون في أمريكا ، وكنا نطلق عليه اسم « أبو العتاهية » — وما أدري إن كان ذلك يغضب الشاعر القديم أو يرضيه ! — فيقول لي عن فتاته — ولكل فتى فتاة في أمريكا — إنها كانت تنتزع نفسها من بين أحضانه أحيانا لأنها ذاهبة للترتيل في الكنيسة ! وكانت إذا

تأخرت لم تنج من إشارات « الأب » وتلميحاته إلى جريرة « أبى العتاهية » فى تأخيرها عن حضور الصلاة ! هذا إذا حضرت وحدها من دونه ، فأما إذا استطاعت أن تجره وراءها ، فلا لوم عليها ولا تثريب !

ويقول لك هؤلاء الآباء : إننا لا نستطيع أن نجتذب هذا الشباب إلا بهذه الوسائل !

ولكن أحدا منهم لا يسأل نفسه : وما قيمة اجتذابهم إلى الكنيسة وهم يخوضون إليها مثل هذا الطريق ، ويقضون ساعاتهم فيه ؟ أهو الذهاب إلى الكنيسة هدف فى ذاته ، أم آثاره التهذيبية فى الشعور والسلوك ؟ من وجهة نظر « الآباء » التى أوضحتها فيما سلف ، مجرد الذهاب هو الهدف . وهو وضع لمن يعيش فى أمريكا مفهوم !

ولكنى أعود إلى مصر ، فأجد من يتحدث أو يكتب ، عن الكنيسة فى أمريكا — وهو لم ير أمريكا لحظة — وعن دورها فى الإصلاح الاجتماعى ، ونشاطها فى تطهير القلب ، وتهذيب الروح . . .

ولله فى خلقه شؤون !

* * *

والأمريكى بدائى فى حياته الجنسية ، وفى علاقات الزواج والأسرة . ولقد مررت فى أثناء دراساتى للكتاب المقدس بتلك الآية الواردة فى « العهد القديم » حكاية عن خلق الله للبشر أول مرة وهى تقول : « ذكرا وأنثى خلقهم » .. مررت بهذه الآية كثيرا ، فلم يتمثل لى معناها عاريا واضحا جاهرا ، كما تمثل لى فى أثناء حياتى بأمريكا

إن كل ما نمت الحياة البشرية الطويلة فى خلقه وصيانته من آداب الجنس ، وكل ما صاغته حول هذه العلاقات من عواطف ومشاعر ، وكل ما جاهدت من غلاظة الحس ، وجهامة الغريزة ، لتطلقه إشعاعات مرفرفة ، وهالات مجنحة ، وأشواق طليقة ، وكل الروابط الوثيقة حول تلك العلاقات فى شعور الفرد ، وفى حياة الأسرة ، وفى محيط الجماعة ...

إن هذا كله قد تجردت منه الحياة فى أمريكا مرة واحدة ، وتجلت عارية عاطلة من كل تجمل . « ذكرا وأنثى » كما خلقهم أول مرة . جسداً لجسد ، وأنثى لذكر . على أساس مطالب الجسد وحاجاته ، [illegible] الصلات ، ومهما تستمد قوا السلوك ، وآداب المجتمع ، وروابط الأسر والأفراد

بفتنة الجسد وحدها ، عارية من كل ستار ، مجردة من كل حياء ، تلق الفتاة الفتى ، ومن قوة الجسد وصلابته يستمد الفتى إعجاب الفتاة . ويستمد الزوج حقوقه — هذه الحقوق التى تسقط جميعها فى عرف الجميع ، يوم يعجز الرجل عن الوفاء بها لسبب من الأسباب

والفتاة الأمريكية تعرف جيدا مواضع فتنتها الجسدية ، تعرفها فى الوجه : فى العين الهاتفة والشفة الظامئة ، وتعرفها فى الجسم : فى الصدر الناهد والردف الملئ ، وفى الفخذ اللفاء والساق الملساء ، — وهى تبدى هذا كله ولا تخفيه — وتعرفها فى اللباس : فى اللون الزاهى توقظ به الحس البدائى ، وفى التفصيل الكاشف عن مفاتن الجسد — وهو بذاته فى الأمريكية فتنة حية صاعقة فى بعض الأحيان ! — ثم تضيف إلى هذا كله الضحكة المثيرة ، والنظرة الجاهرة ، والحركة الجريئة ، ولا تغفل عن ذلك كله لحظة أو تنساه !

والفتى الأمريكى يعرف جيدا أن الصدر العريض ، والعضل المفتول ، هما الشفاعة التى لا ترد عند كل فتاة ، وأن أحلامها لا ترف على أحد كما ترف على « رعاة البقر » الـ « Cow boYs »

وبصريح العبارة تقول لى فتاة ممرضة فى مستشفى « لست أطلب فى فتى أحلامى إلا ذراعين قويتين يعصراني بهما عصراً » .. وقامت مجلة « لوك » « look » باستفتاء لعدد من الفتيات من مختلف الأعمار والثقافات والأوساط حول ما أسمته « عضل الثيران » فأبدت غالبية ساحقة إعجابها المطلق بالفتيان أصحاب عضل الثيران !

وما من شك أن لهذه الظاهرة دلالتها على حيوية هذا الشعب وقوة حسه . ولو هذبت هذه الطاقة وتسامت لاستحالت فنا يجمل جهامة الحياة ، وأشواقا تجعل لها في الحس الإنساني نكهة، ما بين الجنسين بروابط أعلى وأجل من روابط الجسد الطاغي والحس المائع ، والجنوح للسوح في التعبير ، [illegible] الجوارح، التنزي في الحركات واللفتات ، ولكن طبيعة الحياة في أمريكا، والملابسات التي سلفت في نشأة هذا الشعب ، لا تساعد على شئ من هذا ، بل تقاومه وتقصيه

وهكذا أصبحت كلمة حيي أو خجول « Bashful » من كلمات العيب والتحقير ؛ وانطلقت العلاقات الجنسية من كل قيد على طريقة الغابة ، ، وأصبح بعضهم يفلسفها فيقول كما قالت لي إحدى فتيات الجامعة مرة : « إن المسألة الجنسية ليست مسألة أخلاقية بحال . إنها مجرد مسألة بيولوجية : وحين ننظر إليها من هذه الزاوية نتبين أن استخدام كلمات الرذيلة والفضيلة. والخير والشر، إقحام لها في غير مواضعها ، وهو يبدو لنا نحن الأمريكان غريبا ، بل مضحكا ... » وبعضهم يبررها ويعتذر عنها كما قال لي طالب يشتغل للدكتوراه : « إننا هنا مشغولون بالعمل ، ولا نريد أن يعوقنا عنه معوق ، وليس لدينا وقت ننفقه في العواطف ! ثم إن الكبت يتعب أعصابنا ، فنحن نريد أن ننتهي من هذه « الشغلة ! » لنفرغ إلى العمل بأعصاب مستريحة »

ولم أرد أن أعلق على هذا الحديث في وقته . فقد كان همي أن أعرف كيف يفكرون في هذه المسألة . وإلا فكل شئ في أمريكا لا يدل على أعصاب مستريحة ، بالرغم من كل وسائل الحياة المريحة، وكل ضماناتها المطمئنة ، وكل يسر وسهولة في إنفاق الطاقات الفائضة

وبعضهم يسمى هذا تحررا من الرياء ومواجهة للحقائق . ولكن هنالك فارقا أساسيا بين التحرر من الرياء ، والتحرر من المقومات الإنسانية التي تفرق بين الإنسان والحيوان . والإنسانية في تاريخها الطويل لم تكن تجهل أن الميول الجنسية ميول طبيعية وحقيقية ، ولكنها — عن وعي أو غير وعي - كانت تجاهد لتتحكم فيها ، فرارا من العبودية لها ، وبعدا من مدارجها الأولى . : إنها ضرورة نعم ؛ ولكن لماذا تخجل الإنسانية من إبداء ضروراتها ؟ لأنها تحس بالفطرة أن التحكم في هذه الضرورات هو شهادة الخلاص من الرق ، وأولى مدارج الإنسانية في الطريق، وأن العودة إلى حرية الغابة عبودية مقنعة ، ونكسة إلى مدارج البدائية الأولى

سيد قطب

٤ – الثورة المصرية ١٩١٩

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

معركة التحرير :

أذاعت وزارة الداخلية فى ٣٠ أكتوبر ١٩٥١ بيانا باعتداءات الإنجليز فى الفترة من ١٦ أكتوبر إلى ٣٠ منه ويؤخذ منه أن البريطانيين قتلوا أربعة جنود مصريين كما قتلوا ١٣ رجلا من المدنيين وامرأة وطفلا . وبلغ عدد الجرحى من العسكريين والمدنيين ١٢٥ ، وبلغ عدد حوادث النهب والسلب ١٢٥ وعدد المجنى عليهم فى هذه الحوادث ٧٢ شخصا كما بلغ عدد حوادث تعطيل المواصلات ٤٨ حادثة، وحوادث الإتلاف ثمانية، وعدد من ضربوا أو قبض عليهم ٣٨ شخصا

هذا هو الإحصاء الرسمى الذى أذيع ، ولكن هناك إحصاء آخر يعرفه الناس جميعا : إن منطقة القنال بأسرها تعيش الآن وسط أتون من الضغط والإرهاب البريطانى ، وليس هنالك مصرى واحد فى هذه المنطقة آمن على نفسه أو على حريته . إنهم يعيشون تحت أسنة الحراب الإنجليزية، وبلادهم مسرح للعدوان البريطانى

وإنى أحب أن أسجل بكل فخار ما قام به العمال الذين كانوا يعملون فى المعسكرات البريطانية من عمل وطنى رائع ، وذلك بامتناعهم من العمل فى تلك المعسكرات، الأمر الذى أقلق الإنجليز وأقض مضاجعهم ؛ كما أخفض قلبى تحية لوطنية عمال شركة قنال السويس وذلك بامتناعهم من تفريغ أو شحن السفن، مما يهدد بوقف الملاحة فى القناة

كذلك يطيب لى أن أحيى أولئك الوطنيين من التجار الذين امتنعوا من توريد الأطعمة والفواكه إلى أعداء الوطن

هذا فى مصر ؛ أما فى السودان فقد عقد اجتماع وطنى كبير شهده زعماء السودان المخلصون لوطنهم، وفيه أعلنوا أن الجمعية التشريعية السودانية لا تعبر عن رأى السودانيين، كما أعلنوا عن عزم السودانيين على الكفاح لإخراج الإنجليز من وادى النيل وإقامة دولة النيل المتحدة تحت تاج الفاروق

الى الماضى :

هذه صورة من كفاحنا الشعبى فى معركة التحرير .. فلنعد إلى الماضى لنرى صورة من كفاح الآباء .. ولنعرف كيف وقفت مصر وشعبها الأعزل فى وجه بريطانيا غداة خروجها ظافرة من الحرب العالمية الأولى .. وكيف اضطرت بريطانيا رغم جيشها وأسطوله إلى التسليم بمطالب مصر

طالب سعد ورفقاؤه كما رأينا أن يسمح لهم بالسفر إلى أوربا لعرض قضية مصر على مؤتمر الصلح ولكن رفض طلبه ؛ ورأينا كذلك كيف ألف سعد الوفد المصرى ؛ وفى الوقت نفسه طالب حسين رشدى باشا وزميله عدلى أن يسمح لهما بالسفر لمباحثة الحكومة البريطانية فى المسألة المصرية، وقد رفض طلبهما أولا ثم سمح لهما بالسفر؛ ولكنهما طلبا أن يصرح لرجال الوفد بالسفر أيضا فرفض الطلب مما أدى إلى استقالتهما . وقد وقف المصريون صفا واحدا فلم يقبل أحد منهم الوزارة، وظلت مصر بلا وزارة فى الفترة من ديسمبر ٩١٨ إلى مارس ١٩١٩

لم ييأس سعد وظل يواصل جهاده ، ففى ١١ يناير ١٩١٩ أرسل إلى كليمنصو رئيس مؤتمر السلام المنعقد بباريس برقية جاء فيها « باسم الحرية التى أنت نصيرها، وباسم العدل المجرد عن الهوى ، وباسم الإنسانية التى تأبى أن تكره الأمم على أن تنتقل من يد إلى أخرى كما تنتقل ملكية السلع، نناديك من وراء البحر أن لا تتخذ سكوتنا الإكراهى الذى هو النتيجة الطبيعية لحبسنا فى حدود بلادنا دليلا على رضانا بسيادة الغير ، وألا تسمح بالحكم فى مصيرنا من غير أن تسمع أقوالنا . »

وفى ١٣ يناير ١٩١٩ عقد اجتماع وطنى رائع فى منزل حمد الباسل باشا خطب سعد باشا فيه فقال :

.. ليست فكرة الاستقلال جديدة في مصر بل هي قديمة يتأجج في قلوب المصريين الشوق إلى تحقيقها كلما بدت بارقة أمل.. وتخبو ناره كلما استطاعت القوة أن تخمد أنفاس الحق، ولقد كان الوقت الحاضر أنسب فرصة لتحقيق هذه الفكرة . . . إن الاحتلال الفعلي لا يجد فرصة أنسب من هذه الفرصة ليحقق رجاء اللورد سالسبورى الذى قال في ٣ نوفمبر ١٨٨٦ « نحن لا نبحث إلا عن الخروج من مصر بشرف »

قلب هذا الاحتلال الذى لم يكن له حق في البقاء إلى حماية من بادئ رأى الإنجليز ومن غير اتفاق مع مصر..ولكنها هي أيضا أمر باطل بطلانا أصليا أمام القانون الدولى ويخالف المبادئ الجديدة التي خرجت بها الإنسانية من هذه الحرب الهائلة.. فنحن أمام القانون الإنساني أصبحنا أحرارا من كل حكم أجنبي.. فلا ينقصنا إلا أن يعترف مؤتمر السلام بهذا الاستقلال فتزول الموانع التي تقف بيننا وبين التمتع به بالفعل. لهذا الغرض السامى المطابق لما في نفوس المصريين جميعا ألفت أنا وأصحابي الوفد المصرى للسعى في الوصول إلى الاعتراف بهذا الاستقلال وتشرفنا بتوكيل الأمة إيانا . . .

إن إيماننا بقواعد الحق والعدل هو عدتنا وكفى بها عدة، وإن إجماع أمتنا على الاستقلال حجة قاطعة، وما ينقصنا إلا أن يسمع مؤتمر السلام صوت الأمة ، ولكن سيصله ولو من بعيد، يصله على رغم ما يقال من أن مؤتمر السلام الذى يعقد اليوم أشبه ما يكون بما سبقه من المؤتمرات ، هذا هو النحو الذى ننحوه في قضيتنا »

ثم أعلن أن مطالب الوفد تشمل السودان «وإن من الفضلة أن نقرر بأن كل ما نقوله عن مصر ينسحب على السودان لأن مصر والسودان كل لايقبل التجزئة، بل إن السودان كما قال المستشار المالى في تقريره ١٩١٤ « ألزم لمصر من الإسكندرية »

ويقول إلجود Elgood وهو إنجليزى معاصر في كتابه « the transit of egypt » « انتقال مصر » ما ترجمته :

« وفي خلال شهرى ديسمبر ويناير كان قلق المتمد البريطانى يتزايد يوما بعد يوم ، فقد كان يشاهد بعيون متعبة العداوة للبريطانيين تنمو يوما بعد آخر . لم يكن زغلول خاملا ، كان اسمه على شفتى كل مصرى وانتخب زعيما للوفد بإجماع الآراء . لم يكن في مصر إلا حزب واحد، وزعيم، ومنهج واحد»

وفي ٢١ يناير غادر السير ونجت الأراضى المصرية بناء على استدعاء من لندن

استمر الوفد في نشاطه ، وعزم على عقد اجتماع عام في بيت الأمة في ٣١ يناير، ولكن قائد القوات البريطانية منعه

مقدمات الثورة :

في أول مارس ١٩١٩ قبل السلطان أحمد فؤاد استقالة رشدى باشا التي ظل أمرها معلقا منذ شهر ديسمبر١٩١٨،وطلب إليه الاستمرار في إدارة الأعمال إلى أن يتم تأليف الوزارة الجديدة فحرجت الحال بقبول استقالة الوزارة وأوجس الوفد خيفة من محاولة تأليف وزارة جديدة ، ذلك لأن رشدى باشا كان متعاونا مع زعماء الوفد . وقد أدى ذلك إلى هياج في الأفكار وإلى تحمس في النفوس ، واضطر الوفد إلى أن يلجأ إلى السلطان عاتبا عليه قبول استقالة الوزارة التي وقفت بجانب الأمة تطالب باستقلالها ، وطالبا أن يكون السلطان العون الأول للبلاد على نيل استقلالها

وفي ٤ مارس أرسل الوفد إلى معتمدى الدول الأجنبية احتجاجا قويا على السياسة الإنجليزية التي تمنعه من عرض قضية بلاده أمام مؤتمر الصلح بباريس وأهم ما جاء فيه :

جناب المعتمد :

قضى الأمر وبلغ العسف غايته ، لم ينفع مصر أن كانت مشرقا لأقدم مدنية في العالم ، ولا أنها ما زالت دائبة يوما بعد يوم من عهد محمد على الكبير إلى الآن على أن تستعيد المركز الذى لها حق الوجود فيه بين الأمم ، لم ينفعها تقديمها لقضية

الحلفاء أثناء الاقتتال أفيد أنواع المعونة تأثيرا ، وقيامها بذلك في نفس الساعة التي افتتحت بريطانيا العظمى فيها الحرب بأشد ضروب التصرفات السياسية ظلما وهو إعلانها الحماية ، لم ينفعها مالها من وحدة العنصر ، ونبوغ الطبقة الراقية فيها ، وما عليه أهلها من الشغف بالنظام وتمشق الحرية والتسامح العظيم ، تلك الخصائص التي تجعلها جديرة بالاستقلال

إذن فكل شيء يجب أن يتوارى أمام مطامع الاستعماريين اللامتناهية ! إن المصريين دون جميع الأمم التي غيرت الحرب مركزها السياسي هم وحدهم الذين بطشت بهم القوة . .

ها نحن أولاء محكوم علينا بالبكم ، نملك فيه شكيمة الغيظ ، وبالحزن المبرح نلبس ثيابه حدادا على حريتنا المسلوبة . إن الدولة التي ما زالت تسومنا الخسف ما لبثت أن قررت نهائيا قطع الطريق علينا إلى المؤتمر ساخرة بوعودها . .

إن الوزارة التي اندفعت بوطنيتها إلى انتهاج ما يوافق القضية المصرية قد اضطرت إلى الاستقالة ، ونحن نعتقد أنه لا يوجد مصري واحد جدير بأن يدعى مصريا يستطيع أن يؤلف وزارة .. والذي نقصد الآن إنما هو أن نشهدكم على المعاملة الجائرة التي ترزأ بها مصر لكي تقولوا لحكومتكم إنه على رغم العهود التي التزمت بها انجلترا على رؤوس الأشهاد ، وعلى الرغم من المبادئ التي أقرها الحلفاء بالإجماع ، لا زال في العالم أمة تتحكم فيها القوة الغاشمة لخدمة مصالح لا اتفاق لها مع دواعي الدنية ، وهي أقل اتفاقا مع دواعي العدل والإنصاف

ولم تكن السلطة العسكرية تسمح بنشر هذه النداءات في الجرائد ، فكان الوفد يقوم بطبعها وتوزيعها على الأهالي ، فأحدثت هياجا كبيرا في نفوس المصريين وأثارت حماسة وطنية عظيمة

فضاقت بريطانيا من حملات سعد ومن تشهيره بها ، ومن نداءات الوفد إلى معتمدي الدول ، ومن كتابه إلى السلطان ، فقر رأيها على سياسة الشدة في قمع الحركة . وبعد ظهر يوم ٦ مارس استدعى قائد القوات البريطانية رئيس الوفد المصري وأعضاءه ووجه إليهم الإنذار التالي :

« علمت أنكم تضعون مسألة الحماية موضع المناقشة ، وأنكم تقيمون العقبات في سير الحكومة المصرية تحت الحماية بالسعي في منع تشكيل وزارة جديدة ، وحيث أن البلاد تحت الأحكام العسكرية ، لذلك يلزمني أن أنذركم أن أي عمل منكم يرمي إلى عرقلة سير الإدارة يجعلكم عرضة إلى المعاملة الشديدة بموجب الأحكام العرفية »

وقد أراد بعض أعضاء الوفد التعقيب على هذا الإنذار ، ولكن القائد العام رفض سماع أي كلام قائلا « لا مناقشة » !

قويسنا — للكلام بقية — **أبو الفتوح عطيفة**

بمناسبة الذكرى الثانية

على محمود طه في شرقياته

للاستاذ عبد القادر رشيد الناصري

— ١ —

لا أريد أن أتحدث في هذا المقال عن شاعر مصر الكبير المرحوم علي محمود طه كسيد شعراء الغناء العربي منذ امرئ القيس حتى الآن، ولا أريد أن أبين مواطن الجمال والإبداع في دواوينه النفيسة التي أصدرها والتي تضمنت الشيء الكثير من شعره في وصف الطبيعة والمرأة، ولكنني أود ان أقصر كلمي هذه على شعره السياسي الذي قاله في مناسبات عديدة؛ والتي أوحت به إليه أحداث الشرق العربي المتطلع إلى الحرية والثائر على الظلم والظالمين، لأبدد تلك الفكرة التي تطغى على الأذهان. وهي أن المرحوم شاعر الجندول لا يجيد غير وصف الطبيعة والغزل بدليل قوله :

حياتي قصة بدأت بكأس   لما غنيت وامرأة جميلة

وأنه لم يشارك الشعب آلامه وأحزانه، ولا العربية جمعاء في ثورتها التحررية الكبرى، وأنه لم يكن في مجال هذه المشاركة كأمير شوقي بك الذي يقول :

كان شعري الغناء في فرح الشر   ق وكان البكاء في أحزانه

وأن ما قاله في هذا المضمار لا يتعدى الأبيات التي مجد بها مصر . أما الشرق فقد تركه وراء ظهره ..

هذا ما يقوله عندنا بعض المغرورين الجاهلين الذين لم يقرأوا للشاعر غير ديوان واحد أو ديوانين، ولو كانوا من المتتبعين لقراءة نفائس الشعر العربي الحديث لعلموا أن لصاحب « أرواح شاردة » ديوانا فخما يضم طائفة صالحة مختارة من شعر الملاحم والحروب، والدم والثورة، والجهاد والاستقلال، وهو « شرق وغرب » الذي أصدره المرحوم سنة ١٩٤٧ إلى الوجود، وبصدوره أضاف إلى ذخيرة الشعر العربي الحديث ذخيرة أخرى جديرة بالدراسة والحفظ والإعجاب

يقع هذا الديوان في ١٨٢ ص ويقسم إلى قسمين : القسم الأول باسم « أصداء من الغرب » والقسم الآخر باسم « أصوات من الشرق » ونحن نترك الغرب لعشاق الغناء والمرأة والأحلام لنأخذ بالتحدث عن الشرقيات وخصوصا في هذه الظروف التي يمر بها الشرق؛ وبعد نكبة العرب بالديار المقدسة على رغم أنف الجامعة العربية ذلك المخلوق الكسيح الهزيل

وأول قصيدة من شرقيات شاعر زهر وخمر هي « إلى أبناء الشرق » ومطلعها هذا

دعوها منى، وادركوه خيالا   فما عرف الحق إلا النضالا

ينبيك بصيحة الشاعر المخلصة المرجوة إلى أبناء الشرق الإسلامي الذين كانوا يتطلعون إلى قضية فلسطين تطلع الخائف، مرتقبين مصيرها في حذر وفرق؛ وهل يعرف الحق إلا الكفاح؟ إذن إلى حمل السلاح على لسان الشاعر

بني الشرق ماذا وراء الوعود   تطل يمينا وترنو شمالا
وما حكمة الصمت في عالم   تصيح المطامع فيه اقتتالا
زمانكمو جارح لا يعف   رأيت الضعيف به لا يوالى
ويومكمو نهزة العاملين   ومضيعة الخاملين الكسالى

ولكن أبناء الشرق الذين فتحوا العالم، وأدبوا الغرب وكسروا شوكة الصليبيين؛ لا يلبون النداء الحار، فيهتف به الشاعر مذكراً

ألسنا بني الشرق من يعرب   أصولا سمت وجباها تعالى
أجئنا نسائل عطف الحليف   ونرقب منه الندى والنوالا؟

ولكن الشرقيين كما عهدناهم في هذا العصر لا يغضبون لأن الحاكمين تحت إمرة الأجنبي علمهم الخنوع والكسل، ولكن الشاعر يذكرهم ويذكر الخلفاء

فلسطين مالي أرى جرحها   يسيل ويأبى الفداة اندمالا
وافريقيا ما لإسلامها   يسام عبودية واحتلالا
على تونس وبمراكش   تروح السيوف وتغدو اختيالا

ويسترسل الشاعر في وصفه حتى يختم تلك الملحمة الرائعة

بهذا الدعاء المضطرم بالإخاء والإيمان

بني الشرق كونوا لأوطانكم ... قوى تتحدى الهوى والضلالا
أقيموا صدوركم للخطوب ... فما شط طالب حق وغالى

وقد كان الشاعر في سرير مرضه عندما بدأ بإثارة شعور إخوانه العرب عامة والمصريين خاصة في سبيل طردهم المستعمر الغاشم ورد حقهم السليب، فقال في الختام

فزعت لكم من وراء السقام ... وقد جلل الشيب رأسي اشتعالا
وما أن بكيت الهوى والشباب ... ولكن ذكرت العلى والرجالا

نعم لقد بكيت الرجال . وحق لك أن تبكي الرجال في مواطن خلت إلا من أشباه الرجال ..

وفي « يوم فلسطين » وهي القصيدة الثانية من الشرقيات؛ يصور الشاعر غضب الأمة العربية في إضرابها العام الذي صدر في اليوم الثاني من نوفبر سنة ١٩٤٥ حداداً واحتجاجاً على وعد بلفور المشئوم . ويكبر البطولة والشجاعة في الفلسطينيين الأحرار الذين استشهدوا في سبيل بلادهم ويمجد الشعب الفلسطيني المناضل، في جهاده الطويل وصبره على الشدائد ، وإبائه وعدم خنوعه إلى الأجنبي طيلة أيام الثورة، فيهتف من صميم قلبه

فلسطين لا راعتك صيحة مغتال ... سلمت لأجيال ، وعشت لأبطال
ولا عزك الجيل المفدى ولا خبت ... لقومك نار في ذوائب أجيال
سمت باديات الشرق تحت غيارهم ... على خلجات الروح من تربك الغالي
فوارس يستهدى أعنة خيلهم ... دم العرب الفادين والسؤدد العالي

ثم يتطرق إلى وصف الشرق صبيحة التقسيم بهذا الوصف الرائع

هو الشرق لم يهدأ بصبيح ولم يطب ... رقاداً على ليل رماك بزلزال
غداة أذاعوا أنك اليوم قسمة ... لكل غريب دائم التيه جوال
قضى عمره رجم المواطن واسمه ... مواطنها - ما بين حل وترحال
وما حل دار أفيك يوماً .. ولا هفت ... على قلبه ذكراك من عهد إسرال

أي والله يا صاحب اللاح التائه!! إن النكبة التي مني بها العرب في فلسطين يوم ساط عليها الإنجليز والأمريكان شذاذ الآفاق ، المناجيس الرعاديد ، ستبقى مطبوعة في كل قلب حر ما دام للوطن العربي الكبير بقاء ! وإن الأرض المقدسة التي حلها أوباش اليهود التائهين كما لا تتطهر إلا بظهور عظيم كبخت نصر! وبطل كصلاح الدين وفارس كابن الوليد ، لكي يعيد مجد فلسطين كما كانت في عهد عمر ، ومعاوية ، والرشيد

ثم يختتم قصيدته مخاطبا الغرب بقوله

ويا أيها الغرب الواعد لا تزد ... كفى الشرق زاداً من وعود وأقوال
شبعنا وجعنا من خيال منمق ... ومنه اكتسينا، ثم عدنا بأسمال
فلا تعذب الضعفى وتغصب حقوقهم ... فتلك إذا كانت.. شريعة أدغال

وهل فات الشرق أن الغرب لا يعرف إلا الظلم والدم والنار، وأن ما سنه من حقوق لا يتعدى حبراً على ورق ولا تطبق عنده إلا الشريعة الغاب . وقانون الرجل الأول ؟! ..

« وفي مساء يوم الخميس الصادف ٢٠ يونيه سنة ١٩٤٦ تفاجأ مصر والعالم العربي قاطبة مفاجأة سارة بظهور مفتي الديار الفلسطينية السيد أمين الحسيني في قصر عابدين العامر لاجئاً إلى ساحة البيت العلوي الكبير الكريم بعد خروجه خفية من باريس بنحو أسبوعين ، وقد أمنه الفاروق العظيم على حياته وأكرم وفادته . الخ » (١) فما كان من الشاعر إلا أن حياه بقصيدة رائعة تعد من عيون الشعر الحديث يفتتحها بهذا المطلع الجبار

حييتك في الشرق آمال وأحلام ... وقبلتك جراحات وآلام

الذي يصف فيه أجمل وصف شعور الشرق باستقبال المجاهد الكريم ؛ وكذلك وصف الديار المصرية التي ترحب بكل طريد عربي.. ويا ليتنا كنا أحد الذين يقضون البقية الباقية من حياتهم فيها وبين أهلها الأحباء الكرام . . فيقول

ديار «فاروق» من يلجأ لساحتها ... فقد حمته من الأحداث آجام
يطيب للعربي المستجير بها ... معاشه وبرق الماء والجام
ويحطم القلم العاني بحومتها ... أصفاده ، ويفك القيد ضرغام

وحسب مصر ، أن أرباب الفكر ، وأصحاب العقائد ، وحملة مشاعل الحرية والأدباء والشعراء لا يضطهدون أو يعذبون ، وحسب الفاروق شرفاً أنه أصل هذا الكرم العتيد والمجد الرفيع والبناء الضخم الوطد الأركان.. ولا أريد أن أسترسل في وصف هذه الأبيات الرائعة أو أثرها في النفس والشعور؛ وقيمتها في

(١) من مقدمة قصيدته « من الأعماق » ص ٨٦ « الديوان »

ميزان الشعر السياسى من ناحية الديباجة والأصالة والقوة ، ولكننى أكتفى بأنها خير ما قلت فى هذه المناسبة . وحسب الحسينى قول الشاعر

وأنت ، يا أيها الفادى عروبته أسلم فديتك لا غبن ولا ذام
جهادك الحق مظلوماً ومغتربا وحى لكل فتى حر وإلهام

وحسب المرحوم الذى اختطفته يد القادر الغاشم وهو فى أوج نضوجه الفنى وحسب عبقريته المتفتحة عن أكمام الخلود والمعطرة بأريج البيان المشرق واللغة السليمة والعربية الكريمة والتراث الشرقى النبيل أنه كان شاعر الشرق بقوافيه العروبة والإسلام ، وأنه كان من المدافعين عن حريته وسلامته ومن المؤمنين به وبحقوقه ، وبحضارته العريقة ومجده الخالد التالد . وشبابه المنافح المكافح وشيوخه الحكماء

وحسب مصر الوادى المبارك أنه أطلع للعربية والشرق عملاقا مثل شوق .. ونسرا ضخم الهيكل فى الشرق كعلى محمود طه المهندس ...

والبقية من هذا الحديث ستأتى فى القريب إن شاء الله وإلى الغد المأمول

بغداد عبد القادر رشيد الناصرى

خواطر فى كتاب الله

النضال فى سبيل الاستقرار

للأستاذ محمد عبد الله السمان

لا حياة لأمة من الأمم بغير استقرار ، ولا استقرار لها بغير نضال ، فالنضال فى حياتها دعامة قوية يرتكز عليها استقرارها ، والأمة التى تستعذب الركود ، وتستجيب لدواعى الدعة والخمول ، وتتذرع بأوهى الأسباب لتظل أمة ضالة فى مجاهل النسيان ، مودعة فى زوايا الإهمال ، أو متلاشية فى مهاب الأعاصير ، ضائعة فى زوابع الغوغاء — هذه الأمة لن يقدر لها التربع فوق هامة المجد ، ولا الوقوف بين صفوف الأمم الحية ، ولا التمتع بحياة العزة والهدوء ، ولا الظفر بعيشة الرضا والسلام

والإسلام فى ظل تطوراته ، كان حريصا على إيجاد أمة قوية مهيبة الجانب ، مسموعة الكلمة ، ذات مكانة يعتد بها ، وكيان يعترف به ، وجاه تعيش فى ظله مرفوعة الرأس ، مصونة الكرامة ، ولما لم يهب الاستقرار لأتباع الإسلام ، بين ربوع مكة فى المرحلة الأولى ، فرض عليهم أن يهاجروا منها ، راغبين عن مسقط رءوسهم ، وديارهم وأموالهم ، زاهدين فى أرض لم تغدق عليهم غير الذلة والمسكنة ، والعنت والاضطهاد ، فكانت هذه الهجرة أول مرحلة من مراحل النضال ، وأول لبنة فى بناء الاستقرار ، وحرم عليهم أن يسكنوا أرضا لم تكرم وجودهم ، ويعيشوا فيها أذلاء مستضعفين ، حتى يفلتوا من أسوأ جزاء ، وأشد عقاب :

« إن الذين توفيهم الملائكة ظالمى أنفسهم ، قالوا فيم كنتم ؟ قالوا كنا مستضعفين فى الأرض . قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ؟ فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا »

والعدة ألزم شئ للنضال ، ولا يعتبر النضال نضالا واقعيا إلا بها . والأمة التى ترغب فى حياة حية ناهضة ، يحتم عليها أن تكون على استعداد للنضال فى أية لحظة ، فإن لحظات القدر ليست ذات مواعيد محددة . والإسلام الذى أوجد أمة مجيدة من العدم ، لم يفته أن يوجهها إلى اقتناء العدة ، وإيجاد القوة ، فهما حليفتا الأبطال فى ميادين النضال . وخليقتان بأن تدفعا إلى كسب الشرف والفخر لأمتهم ، وذود العار والبلاء عن وطنهم . والإسلام لم يفته أن يلفت أنظار المسلمين إلى الحديد ، وأنه مصدر من أهم مصادر العدة والقوة :

«وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة، ومن رباط الخيل، ترهبون به عدو الله وعدوكم ، وآخرين من دونهم لا تعلمونهم . الله يعلمهم . وما تنفقوا من شئ في سبيل الله يوف إليكم . وأنتم لا تظلمون — وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس ، وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ، إن الله قوى عزيز . »

والإسلام لم يحتضن النضال إلا وهو يهدف إلى إيجاد الاستقرار الذى لاغنى عنه لأمته ، وإيجاد السلام العالمى الذى تعيش الإنسانية والبشرية فى كنفه وتحت رعايته آمنتين، ولم يكن من اللائق به — كدين صاحب أسمى دعوة — أن يحتم على أمته الركون والهدوء ، وكتائب البغى والعدوان تأبى إلا النيل منها والكيد لها ، ولا أن يلزمها الصمت والسكون — وجحافل العناد تأبى إلا السطو عليها ، والتخلص منها ، والإسلام لم يقصد من إلزام أمته النضال وإعداد العدة له ، بغيا أو بطرا أو عدوانا ، ولكنه قصد منهما تهيئة حياة مستقرة لها ، حتى تؤدى رسالتها التى من أجلها أوجدها الحق تبارك وتعالى

وقد اعتبر الإسلام النضال بالنسبة لأمته دعامة قوية ، ترتكز عليها كيانها ، وتستقر حياتها ، ولذلك حرضها عليه ، واعتبره جهادا فى سبيل الله الذى يحق الحق ويبطل الباطل ، ومن أجل حياة دائمة باقية ، تنال فيها النفوس المجاهدة الصابرة أنعم ما أعده الله لأوليائه :

« فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة. ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما — فقاتل فى سبيل الله . لا تكلف إلا نفسك . وحرض المؤمنين . عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا . والله أشد بأسا وأشد تنكيلا — إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص — وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ، إن الله لا يحب المعتدين — فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم ؛ فما جعل الله لكم عليهم سبيلا »

ولما كان النضال دائما فى مسيس الحاجة إلى المادة ، لإعداد الأسلحة وما إليها ، وللانفاق على الجيوش المناضلة ، فقد حرض الإسلام على الإنفاق فى سبيل هذه الغاية ، واعتبر البخل والتقتير مما يدفع بالأمة إلى الهلاك بأيديها ، وقد أخذ الله على نفسه ألا يضيع جزاء الباذل . بل يضاعف له أضعافا مضاعفة :

« وأنفقوا فى سبيل الله . ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة . وأحسنوا إن الله يحب المحسنين — مثل الذين ينفقون فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل . فى كل سنبلة مئة حبة . والله يضاعف لمن يشاء . والله واسع عليم »

والجندى المناضل يهدف فى نضاله دائما إلى نيل إحدى الحسنين : إما فوز يكسب أمته العزة والشرف والفخار ، ويسبغ عليها نعمة العزة والحرية والمجد ، وإما استشهاد فى سبيل الحق ، يخلد فى الحياة الدنيا ذكراه أجل تخليد ، ويجعله فى الحياة الأخرى مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا :

« ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون — ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون . فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم . ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون . يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين — إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون . وعدا عليه حقا فى التوراة والإنجيل والقرآن. ومن أوفى بعهده من الله . فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به. وذلك هو الفوز العظيم — والذين قتلوا فى سبيل الله فلن يضل أعمالهم . سيهديهم ويصلح بالهم . ويدخلهم الجنة عرفها لهم . »

أما المتخلفون عن ميدان النضال ، المتنكبون طريق الشهامة والمروءة والرجولة ، فقد ندد بهم الإسلام كل التنديد ، لأنهم رضوا بالحياة الدنيا من الآخرة ، ولأنهم بخلوا بأنفسهم ، وادخروها لحياة فانية تعبث فيها وتلهو ، وآثروا القبوع فى مساكنهم على إدراك البطولة ، وارتداء تاج التضحية والتفانى ،

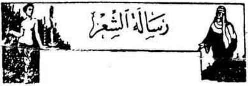
كانوا إذا دعوا إلى النضال تثاقلوا تثاقلا مزريا ، وانتحلوا أوهى الأعذار ، ليقعدوا عن ركب الجد الزمع إلى الكفاح في سبيل أسمى الغايات :

« يأيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض ، أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة ؟ فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل . إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ، ويستبدل قوما غيركم ، ولا تضروه شيئا ؛ والله على كل شيء قدير — فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله ، وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ، وقالوا لا تنفروا في الحر ، قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون — فليضحكوا قليلا ، وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون — إنما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء ، رضوا بأن يكونوا مع الخوالف ، وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون . يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم ، قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم ، قد نبأنا الله من أخباركم ، وسيرى الله عملكم ورسوله ، ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون . سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم ، فأعرضوا عنهم ، إنهم رجس ، ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون ـ وقالوا : ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب . قل متاع الدنيا قليل ، والآخرة خير لمن اتقى ، ولا تظلمون فتيلا »

وأما أولئك المثبطون للهمم ، الذين كانت مهمتهم أن يضعوا الأشواك في طريق النضال ، وأن يشنوا حرب الأعصاب على ضعفاء الإيمان ، ويثيروا الروع والفزع في نفوسهم ، فقد كشف الله نواياهم ، وفضح مخازيهم ، لأنهم خليقون بأن يحرموا قيم الرجولة ، وتتبرأ منهم صفحات المروءة والبطولة ، وما أكثرهم في أيامنا هذه ، يعيشون كالجراثيم ، وينفثون السموم في روع المناضلين ، ويعز عليهم أن يناضل غيرهم ، وهم لا يرغبون في النضال ، وأن يكسب الشرف سواهم ، وهم ليسوا جديرين به ، ويتسلحون بمنطق أعرج ، وأسلوب ملتو ، وحجة واهية ، ليبرروا مسلكهم ، ويواروا صغارهم :

« . . يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا ، قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم ، وليبتلي الله ما في صدوركم ، وليمحص ما في قلوبكم ، والله عليم بذات الصدور — يأيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا ، وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ، ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم ، والله يحيي ويميت ، والله بما تعملون بصير — وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم ، هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان ، يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم ، والله أعلم بما يكتمون ، الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا ، قل فادرءوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين »

البحث صلة — القاهرة **محمد عبد الله السمان**



في موكب الخالدين

ذكرى الملاح التائه

للأديب عبد الرحيم عثمان صارو

طاف بالدنيا .. كما طاف الربيع   بحنايا الأرض بثا مرسلا
ساحر ينفث ما بين الضلوع   لهب الحب شهى المصطلى
في يديه معزف الفن الرفيع   يرسل اللحن طروبا مثملا
يزدهى الأرواح بالكأس البديع   ربق الخمرة .. أساح الطلى
قد تزول الشهب أو تبلى الشموع   وسناه فوق أطواق البلى
ماله؟ والكون نشوان الربوع   يتساقاه رحيقا سلسلا؛
وندامان احتشاد وولوع   فارق الروض وولى معجلا!

* * *

ماله؟ والكون يشدو بحلاه   راقص النشوة فياض المرح؛
والليالي مفعمات بهواه   مد للغيب جناحا .. ونزح!
أهي الأيام قد آدت خطاه   بالذي يحمل من دنيا البرح؟
أهو «الأولمب» نادى بفتاه: أيها المتعب: آن المطرح؟
أهو الدهر الذي أترع فاه   خمرة الشدو وصهباء الملح؟
طاش منه العقل واستأت نهاه   غمرات من أفاويق الفرح؛
فتولى في تهاويل رؤاه   ينهل الراح، ويلقى بالقدح

* * *

أيها النازح عن تلك الديار   أيها التائه قد طال الغياب
ما عهدناك على رغم السفار   ممعنا في هجر هاتيك الشعاب
ضفة النيل حنين وادكار   تمزج الأدمع بالوجد المذاب
طالعت بالشوق آفاق البحار   تسأل الموج .. وتستهدى العباب
وتنادى الريح: هل حان المزار   وحلا الوصل على مر العتاب
وجهها: لم تخط من طول انتظار   وارتقاب مستهاب بجواب
يا نجوم الليل .. يا شمس النهار   فتشى عندك عن ذاك الشهاب

* * *

أيها التائه في بحر الحياة   عد تأمل كيف بات الشاطئان
أيها التائه .. إلا عن حماه   كيف أنسيت هوى تلك الجنان؟
كيف تروى السمع عن غالى نداه   والجوى يزخر فيه والحنان
لم تطلب بعدك أقداح السقاة   للندامى .. لا ولم تحل الدنان
باختيار الشوق: لا تلحوا هواه   فهو لا يسلوهوا كم حيث كان
لا تلوموه بهجر ما جناه   وسكوت ماله فيه يدان
إنها الأقدار ألوت بخطاه   وجهة المجهول من قبل الأوان

* * *

عبقرى الفن .. رب الملهمين: هذه ذكراك حب وثناء
وتراث لك وهاج الرنين   سامق الذروة مرفوع اللواء
وصلاة في محاريب الحنين   جئت أقريها «على» الشعراء
إن عدتها نفحة الشعر الرصين   لم يجزها لك مشبوب الولاء.
أنا من ذكرك في غل ثمين   أجمل الأغلال في الدنيا الوفاء
كيف أنساك؟ معاذ الخالدين   وصباياك جوار في السماء
خالد أنت على مر السنين   في فم الأجيال في سفر البقاء

عبد الرحيم عثمان صارو

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

ساعة مع الحكيم :

أقبلت على الأستاذ توفيق الحكيم بك في غرفة مكتبه بدار الكتب المصرية ، بعد أن فرغ من تصريف مسألة من مسائل الدار ، وقد خرج الأستاذ الكبير عن مكتبه ، وجلسنا على مقعدين متقابلين ، فطالعت منه وجه الفنان ، وأحسست أني في محراب من محاريب الأدب والفن ، لا في حجرة من حجرات أصحاب المناصب الكبيرة

وقضيت معه ساعة تناولنا فيها بعض شئون الأدب والأدباء ، وقد تحدث إلى منطلقا مستفيضا ، وأصغيت إليه مستوعبا مستعذبا ، ويعرف أصدقاء أديبنا الكبير ما في حديثه من متعة وعمق ، لأنه يمزج فيه الفكر بماء الفن كما يصنع في كتابته

وكان يلقى إلى الحديث على طبيعته المرحة الهادئة الوادعة ، وهو لا يعلم أني سأنقله إلى قراء الرسالة . . فلما علم بهذه النية ظهرت عليه البغتة وابتدرني قائلا : إذا فأنت تريد أن تعمل حديثا ! وسكت وكأنما يقول في نفسه : الأمر لله !

بدأ الحديث بالسؤال عن الأستاذ الزيات بك ، ثم ذكر « الرسالة » لا سائلا عنها فهي لا تغيب عنه ، إذ هي معه وهو معها كل أسبوع ، بل قال : الرسالة يتنسم منها الإنسان عبير الأدب في هذه الآونة التي قطعت الصحف والمجلات الأخرى علاقاتها بالأدب ومحت آثاره من صفحاتها . . حتى ما تنشره أحيانا من قصص تراه حكاية لحوادث لا فن فيها ولا تشعر بأن كاتب القصة يسوق إليك في خلال كتابته خواطر أديب

وتحدثنا في انصراف أكثر الناس عن القراءة الأدبية ، وقلت : إن القصة باعتبارها فنا من الأدب تستطيع أن تنافس الكتابات غير الأدبية في اجتذاب جمهور القراء . قال : على شرط أن تكون أدبا . . فإن بعض من يكتبونها — كما قلت — يسوقون وقائع لم تباشرها نفوسهم ولم تتمثلها خواطرهم ، فالفن لا يتفتح من وحي الساعة ، بل لابد أن يمضي على الأحداث من الأنظار وقت كاف لنضجها وهضمها . ولهذا أرى ألا يفرض على الأديب أن يكتب لونا معينا من الأدب وإنما يترك لشعوره واستجابته

وعدنا إلى حديث المجلات الأدبية وقلة الإقبال على قراءة الأدب ، فقال الأستاذ الحكيم : الواقع أن المجلات الأدبية هي البقية الباقية . وما زلت أذكر الحديث الذي أدلى به إليك معالي الدكتور طه حسين باشا ونشر بالرسالة منذ شهور والذي أعرب فيه عن عمل وزارة المعارف ، واستعدادها للعمل ، على تشجيع الأدباء والأخذ بكل ما يغذي الحركة الأدبية والثقافية في البلاد . إن وجود طه حسين على رأس وزارة المعارف فرصة ذهبية عظيمة ينبغي أن تنتهز لإحياء الأدب وازدهاره عن طريق مساعدة الدولة وإثابتها للجهود الأدبية

ومال الحديث إلى الناحية العملية في الموضوع ، فقال الأستاذ الحكيم :

إن وزارة المعارف بإعانتها المجلات الأدبية تسدى الصنيع ، لا لهذه المجلات فحسب بل للأدب والأدباء على وجه عام ، فإن ذلك سيبعثها على الإجادة والإكثار من استكتاب الأدباء المجيدين . ويا حبذا أن تخصص الوزارة لهذا الغرض مبلغا من الاعتماد المخصص لكتب المطالعة الإضافية ، فالمجلات الأدبية نفسها تعتبر من هذه المطالعة

قلت : إن الدولة تتبع سياسة تعويض المنتج وتشجيعه على الإنتاج الذي لا يجزيه الجمهور جزاءه الحق ، أو بتعبير اقتصادي ، لا يغطي نفقاته ، كما تصنع مثلا في الخبز والسكر ، أفليس لغذاء العقول مكان ؟

ثم جر الحديث إلى تكوين جمعية الأدباء ، فقال الأستاذ الحكيم : إذا أراد الإنسان أن يلتقي بإخوانه الأدباء فأين يجدهم ؟ أليس اجتماع الأدباء وتحدثهم مثلا فيما يجد من الأفكار أو في كتاب جديد قيم وما ينشأ عن احتكاك الآراء من تنشيط العقول

وإثارة الغرائز — أليس ذلك خيرا وأبقى من أن يذهب الإنسان إلى قهوة يجد فيها موظفين يقتلون الوقت بالحديث عن الدرجات والعلاوات ؟

ثم قال لى : إذا جاء إلى مصر أديب من الخارج وأراد أن يلقى أدباء مصر فأين يلقاهم إذا لم يكن لهم ناد يقصد إليهم فيه ؟

وختمت حديثى مع الأستاذ الكبير بسؤاله عن جهده الأدبى فى الفترة الأخيرة أو ما يعتزمه من الإنتاج فى عالم الأدب والفن ، قال : إنه ينوى أن يخرج كتابا أدبيا ولكنه لم يعرف بعد اسمه ولا موعد ظهوره . لأنه يحلو له دائما أن يكون هو المفاجأ بظهور كتابه قبل أن يكون المفاجئ . .

كشكول الأسبوع

◻ تفضل جلالة الملك فاروق فوافق على أن تخصص منحة قدرها ٨٠٠٠ جنيه فى العام لمركز الثقافة الإسلامية فى لندن

◻ جاء من باريس أن المجلس التنفيذى لليونسكو وافق على إنشاء مركز للتعليم الأساسى فى الشرق مقره مصر . وكان معالى الدكتور طه حسين باشا عرض على الجمعية العامة لليونسكو عند انعقادها فى يولية الماضى ، استعداد الحكومة المصرية للمساهمة فى إنشاء هذا المركز

◻ وافق معالى وزير المعارف على قرار مجلس جامعة فؤاد الأول بتعيين الأستاذ ابراهيم اللبان بك عميدا لكلية دار العلوم ، وهو الذى فاز بأغلبية الانتخابات التى أجريت بالكلية لاختيار العميد

◻ كتب بعض الكتاب ينتقدون إلغاء حفلة أم كلثوم ، وقالوا إن الحكومة خشيت مما يثيره غناؤها من حماسة الجماهير .. لأنها كانت ستغنى قصيدة « سلوا قلبى » وفيها البيت « وما نيل المطالب بالتمنى » وهذا يذكرنا بما يحكى عن منيرة المهدية من أنها كانت تغنى « زغلول يا بلح » فيصفق الجمهور محبة فى سعد زغلول !

◻ فى ليلة إلغاء المعاهدة قدم المذيع بالإذاعة المصرية أغنية مصر التى يغنيها عبد الوهاب بأنها من تأليف المرحوم أحمد شوقى بك . . وهى للأستاذ محمود حسن اسماعيل ، فهل جهلت الإذاعة الشاعر الذى كان يوما من كبار الرؤساء فيها ؟ !

◻ أصدر معالى وزير المعارف قرارا بإعادة فتح مكتب البعثات فى ألمانيا ، على أن يكون مقره فى مدينة فرانكفورت ، وتتخذ الوزارة الإجراءات لافتتاح هذا المكتب خلال الشهر الحالى

لحن فصيح !

كتب الأستاذ أحمد محمد بريرى فى جريدة الأساس (٣/١١/١٩٥١) مقالا عنوانه « خطأ مشهور » أجرى فيه الكلام — على طريقته — حوارا بينه وبين « شيخه » تناول فيه تعريب اسم « هانس أونو » ثم شبك الكلام بمسألة أخرى هى التى تهمنا الآن

قال الأستاذ وهو ينتقل من مسألة تعريب ذلك الاسم إلى مسألتنا :

« قلت إذا أردتم أن تنقلوا الحرف الأخير من الكلمة فتنادون . .

قال — صه . . فقد أقلقت سيبويه ، رحمه الله ، حين قلت فتنادون . . قل فتنادوا . . أفنسيت فاء السببية . ؟

قلت — فما قولكم ، دام الله فضلكم ، فى قول الحطيئة :

الشعر صعب وطويل سلمه
إذا ارتقى فيه الذى لا يعلمه
زلت به إلى الحضيض قدمه
يريد أن يعربه فيعجمه

بضم الميم فى قوله « فيعجمه »

وفى قول الدكتور طه حسين عن بعض الخبثين من الشباب : « يريدون أن يضحكوا من الصحف ورؤساء التحرير فيدخلون عليها فصولا نشرت على أنها لم تنشر . الخ » دون حذف نون يدخلون

قال — أما عن شعر الحطيئة فالفاء ليست سببية . . وهذا واضح لأن إرادة الإعراب ليست علة الإعجام أو سببه . . فالشاعر لا يعجم الشعر بسبب أنه أراد إعرابه . . ومتى انتفت فاء السببية انتفى النصب

وأما كلام الدكتور طه حسين فالنصب فيه محقق . . فالسببية واضحة بين ضحك هؤلاء الشبان من الصحف ورؤساء تحريرها ، وبين إدخال الفصول التى نشرت على أنها لم تنشر . .

وإنى لأنبه الدكتور طه حسين إلى أنه يلحن كثيرا فى مثل هذا الحرف فيرفعه وحقه النصب

قلت — وغير الدكتور طه حسين من المؤلفين والكتاب ألا يلحنون فى مثل هذه الحال . ؟

قال — قلت لك إنى لا أحصى

لحن غير العلماء .. وإن شهرة الخطأ إنما تستمد من شهرة المخطئ بالدقة في المحافظة على سلامة اللغة . .

قلت — فما حاصل حديثنا اليوم . ؟

قال حاصله أو حاصلاه إن شئت الدقة أننا عربنا السيد « هانس أوتو » فقلنا « هنسوت » ثم رجونا إلى الدكتور طه حسين أن يعطف على فاء السببية فينصب المضارع بعدها متى تقدم مسوغ النصب .. والله الموفق إلى الصواب »

سبحان الله يا أستاذ ! ويا عجبا لك ولشيخك !! كيف غاب عنكما أن فاء السببية التي ينصب المضارع بأن مضمرة بعدها هي التي تسبق بطلب أو نفي ؟ وأين الأمثلة التي سقتها من ذلك .. ؟ إن الفاء في هذه الأمثلة فاء العطف . أما عبارتك التي خطأك فيها الشيخ فما هي علينا ! وأما قول الشاعر « يريد أن يعربه فيعجمه » ففيه الفعل « يعجم » معطوف على « يريد » وكلاهما مرفوع ، وأما كلام الدكتور طه حسين « يريدون أن يضحكوا ... الخ » ففيه الفعل « يدخلون » معطوف على « يريدون » وكلاهما مرفوع أيضا ، وليس فيه نصب محقق ولا غير محقق . وإذا كان الدكتور طه حسين يلحن كثيرا في مثل ذلك .. فما أفصح هذا اللحن !

وبعد فأرجو أن تكون هذه المسألة من الأستاذ بربري « هفوة عالم » ولعل خجلته منها تدعوه إلى التبين والتحقق فيما بعد

رسالة الشباب في الكفاح :

ألقى الأستاذ كامل الشناوي بك يوم السبت الماضي بجمعية الشبان المسلمين ، محاضرة قيمة موضوعها « رسالة الشباب في الكفاح الشعبي » تناول فيها الموضوع تناولا أثار الإعجاب والحماسة في نفوس المستمعين

حث الأستاذ الشباب على الغضب لكرامة الوطن ، وقال : إن واجبكم أيها الشباب أن تحاربوا الرضا وأن تحاربوا القناعة أيضا ، فالقناعة في طلب المال غنى ولكنها في طلب الحق فقر وفاقة !

وعرض للتحالف الذي يطلبه أعداؤنا . فقال : لماذا نتحالف أنتحارب أم لندافع ؟ إننا لا نطمع في غزو ولا في استعمار حتى نحارب . أما الدفاع فإن الشعوب تدافع عن حريتها ، وحريتنا هم غاصبوها ، فلن يكون دفاعنا إلا موجها إليهم . إنهم يخيفوننا بالخطر الروسي ، فعلى أي شيء نخاف عليها .. ولكننا سنأخذها بأيدينا ، وبعد ذلك نعرف من نعادي ومن نصادق ، سنعادي الدولة التي تعتدي علينا ولو كانت روسيا القوية ، وسنصادق الدولة التي ترعى حقنا ولو كانت تركيا الضعيفة !

وناقش الحلف الرباعي الذي رفضته مصر هكذا : نبتت في أمريكا فكرة تدعو إلى نفض يد أمريكا من مساعدة بريطانيا في منطقة الشرق الأوسط . وفرنسا التي استسلمت في الحرب الماضية من أول طلقة مدفع ، ستسلم في الحرب القادمة عند أول صفارة إنذار .. وتركيا متاخمة لروسيا ، لروسيا ، فهل ستحمي نفسها أو ستحمينا .. ؟ سنبقى إذن مع بريطانيا وحدنا ، وبريطانيا لم تعد إلا ذكرى لقوة ذهبت ولن تعود ، فهل نتحالف مع الذكريات .. ؟

وضرب الأستاذ الشناوي مثلا — لوجوب مواجهة العدو القوي ولو بقوة أقل من قوته — أبا أيوب الأنصاري ، إذ خرج إلى القتال وهو شيخ هرم ، فأراد أصحابه منعه ، فقالوا له : إن الله تعالى يقول « ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة » فقال لهم : لا تفسروا كتاب الله على هواكم .. إنما هذه الآية نزلت فينا معشر الأنصار لكيلا نقعد عن الجهاد فنهلك ، فما التهلكة إلا القعود عن الجهاد ..

عباس خضر



السلام العالمي والاسلام

للكاتب الداعية الأستاذ سيد قطب

للاستاذ محمد فياص

بينما تتصارع الشيوعية والديمقراطية من جهة ، وبينما تتصارع شعوب تدين بالإسلام مع كلتا الكتلتين من جهة أخرى ؛ يقفز من بين الشعوب الإسلامية دعاة إسلاميون وهيئات إسلامية ، فيتقدمون الصفوف ، ويمسكون بدفة التوجيه في محاولات جبارة ليحولوا وجهة الكفاح الشعبي في الرقعة الإسلامية ، إلى كفاح إسلامي يستعصي على الفكرة الشيوعية ، ويتمرد على دعاة الديمقراطية ، ويتجه إلى الإسلام . ليكون القوة الإسلامية الأولى ، التي انبعثت من بطن الصحراء ، لتديل دولة الفرس الوثنية ، وتزيل دولة الرومان الظالمة ، فتبلغ رسالتها ، وتؤمن رقعتها ، وترفع الظلم عن كل إنسان

وفي غضون ذلك كله ، ومن بين صفوف قادة الفكر ، ودعاة الفكرة ، ومن بين أبراج الأدباء والكتاب في بلادنا ؛ رأينا صاحب قلم جرئ ، ينزل من بين الأبراج ، ليبرز خلال الصفوف الشعبية ، متجردا ، مخلصا ، للكفاح . الكفاح المرير بثمنه وقيوده ، فيضرب هنا ، ويضرب هناك ، ضربات متتاليات متواليات ، في ميدان الفكرة الإسلامية ، وفي ميدان الفكرة الاشتراكية . وفي ميدان الشعوب . . لنأ كل . . لنلبس . . لنعي . . لنتحرر . . لنعيش عيشة الإنسان !!

وما نظننا بعد في حاجة إلى الإشارة لصاحب هذه الضربات الحرة السافرة ، فنحن نعرف فيها الأستاذ سيد قطب ، كما نعرفه بها . والجدير بالإشارة : أن الفكرة الإسلامية تحت ذبابة قلمه بدت لنا مكبرة ضخمة ، واضحة ، في كلياتها وجزئياتها ، في مباحثها وأقسامها ؛ وهذه حالة جديدة ، وظاهرة فريدة ، في «الفهم الاجتماعي» للفكرة الإسلامية ، منذ نشأت إلى الآن . . فكل ما كان من فهم لفكرة الإسلام ، لم يعد تناول بعض جنباتها في شطحات مفككة ، بين خطأ وصواب ؛ أما سيد قطب فكان من الإسلام في عصرنا الحاضر ، بمثابة العدسات المجمعة الكبرة . . المفرقة الموزعة ، أو كان بمثابة المرآة الضخمة التي انعكست لنا فيها الفكرة الإسلامية ، واضحة ناصعة ، صافية معقولة ، جذابة منطقية

ولعلني لا أعدو الواقع ، حين أقول إن سيد قطب لو قدر له في أسلوبه ، طبيعة السخرية والتورية ، والإيماء والكناية ؛ لفاق تأثيره تأثير « فولتير » في هزه للنفس البشرية ، من داخل لا من خارج ، وفي إشعاره لها بالكبت والضغط . . وإذن لاحتل سيد قطب في حياته وفي عصره مكانة لا تقل عن مكانة « فولتير » في التاريخ . . ولدى المؤمنين بالحرية والإخاء والمساواة بعد مماته . ولكنني أعتقد أن سيد قطب ينأى بنفسه عن ذلك الجانب ، ليوائم بين كتابته وحقيقة ما يكتبه عن الفكرة الإسلامية ، التي لا تعرف الألغاز والمعميات ، والتي لا تهرب من الضوء . وأعتقد أيضا أن الجامع مع ذلك بينه وبين «فولتير» هو أن كليهما في عصر وبلد ملئ بالقلق ، ملئ بالتطلع ؛ وأن كليهما مخلص لفكرته ، مؤمن بها في ميدانه ؛ وأن كليهما متأثر بعصره ، شديد التأثير في زمانه وما بعد زمانه . . رغم ما بينهما من تفاوت في المنهج والمنحى والطريقة ، ورغم ما بين فكرتيهما من تباين في الأسس وفي الأصول

وقد لا يقصر بي التعبير عن الواقع حين أقول : إن طبيعة الأستاذ سيد قطب ككاتب ، طبيعة مرنة لينة ، تستجيب وتنمى . . وتتأثر وتؤثر . . في أسلوبه بساطة محببة أليفة ، وسلاسة طبيعية غير متكلفة ، وفي أدائه دقة الكليات والجزئيات . . وفي تصويره براعة التناسق والتوازن ، والتعادل والانسجام . وإنك لا تكاد تقرأ الصفحة من كتابه ، أو النهر من مقاله ، حتى تقسم بكل مقسم ، أنك قد لمست من خلال السطور ، رفرفة الروح ، وحرارة العقيدة ، ونضارة الفكرة ، وأن سيد قطب يكتب حين يكتب ، بكل جوارحه ومشاعره وأحاسيسه ؛ وأنه يفنى فيما يكتب ويخلص للسطر ، وأنه يتكلم من خلال السطور ، في قسوة ، وفي رحمة . .

بيديه ورجليه ، وعقله وعاطفته

وهذه واحدة أخرى نذكرها في إجمال عن طبيعة مؤلفاته الإسلامية ، وطريقة عرضها : بعد أن قدمنا طبيعته ككاتب ، في أسلوبه ، وفي تصويره ، وفي أدائه :

قرأت للأستاذ سيد قطب في ميدان الفكرة الإسلامية ، خمسة كتب : التصوير الفني في القرآن . والعدالة الاجتماعية في الإسلام ، ومشاهد القيامة في القرآن، ومعركة الإسلام والرأسمالية، وأخيرا هذا الكتاب الذي بين يدي الآن « السلام العالمي والإسلام » وقد عرفت عن هذه المؤلفات عدة أشياء ؛ تتركز في دقة التقسيم ، وجودة العرض ، والقدرة على الاستنباط والاستنتاج وعمق البحث وجدته ؛ وتتمثل في بساطة وسهولة وسلاسة توائم سائر القراء من جميع الطبقات ، رغم ما بها من تجنيح وتحليق ، في تقسيماته واستنباطاته واستنتاجاته ؛ على جعبة مليئة بالعديد الدقيق من مألوف ألفاظ الاقتصاد والمنطق والطبيعة .

وعرفت أيضا لمؤلفاته طريقتين وطرفين : إحداهما ، هادئة كالسطح الساكن، وأخراهما متأججة ثائرة لا تلوي على شيء . . الطرف الأول في كتابه العدالة ، والثاني في كتابه المعركة ؛ وبين الكتابين وبين الطريقتين ، أوساط عديدة تقف بين الوجه الهادي للنفس المتأججة ، وبين الوجه الغاضب للنفس الثائرة، في مكان خاص بين الوجهين والطريقتين، وكتاب المؤلف الأخير أقرب إلى الهدوء وإلى العدالة منه إلى المعركة ، وإن كان الباب الأخير فيه ، يميل إلى أن يكون وسطا متوازيا في عرضه وأدائه بين الكتابين ، وبين الطريقتين

ولقد كان بودي أن أتحدث عن كتبه كلها ، لما أكنه لها ولنتاجه وطريقته من تقدير وحب ، لولا أنني في مجال الحديث عن كتابه الأخير ، أو هذا هو ما فرضه علي الاعجاب والحب . ولا أعتبر أن ثمة اعتبارا من حبي وإعجابي يقف بيني وبين أن أقول للأستاذ سيد قطب على رؤوس الناس ما يود سائر القراء قوله له: لقد وضعت لبنات جديدة في (مكتبة القرآن) حتى كتابك (مشاهد القيامة في القرآن) رغم أن جودة العرض وحسن التقسيم قد هربا منه هروبا لم يخلف وراءه سوى مستنبطات ومستنتجات . . الحق أنها تستأهل الاعجاب والتقدير . والحق أنها تستأهل أن يكون بجوارها جودة العرض وحسن التقسيم ، لتكون لها القيمة المنشودة ، والفائدة المرجوة

وعسير على الباحث ، كما يقول المؤلف في كتابه « السلام العالمي والإسلام — « البحث في أي حقل من حقول الإسلام ، دون الإلمام بفكرة الإسلام الكلية عند الكون والحياة والإنسان .. فهذا الدين لا يطلع شكلت طبيعة أجزاء وتفاريق .. إنما هو يرجعها كلها إلى نقطة ارتكاز واحدة .. مردها إلى فكرته الكلية عن الكون والحياة والإنسان » وفكرة السلام في الإسلام « تتصل اتصالا وثيقاً بطبيعته وبفكرته الكلية عن الكون والحياة والإنسان » ومن أجل هذا يعقد المؤلف بابا خاصا بعنوان « طبيعة السلام في الإسلام » ويؤكد فيه أنه يجب أولا وقبل كل شيء ، ربط فكرة السلام بفكرة الإسلام الكلية عن الكون والحياة والإنسان رغم أنها ليست من موضوع كتابه هذا كما لم تكن من موضوع العدالة . والمؤلف يستهل ذلك الباب بقوله : « إن فكرة السلام في الإسلام فكرة أصيلة عميقة » ثم يمضي بربط فكرة السلام بفكرة الإسلام الكلية ، إلى أن يقول : « من هذا التناسق في طبيعة الكون ، وفي ناموس الحياة وفي أصل الإنسان .. تستمد طبيعة السلام في الإسلام .. فتستند إلى أصل أصيل عميق ، ويصبح السلام هو القاعدة الدائمة ، والحرب هي الاستثناء » . ولكن الإسلام « يستبعد الحروب التي تثيرها العصبية العنصرية » أو « العصبية الدينية بمعناها الضيق .. كراهية الأديان الأخرى » كما « يستبعد الحروب التي تثيرها المطامع والمنافع : حروب الاستعمار والاستغلال والبحث عن الأسواق والخامات ، واسترقاق المرافق والرجال » ويستبعد أيضا تلك « الحروب التي يثيرها حب الأمجاد الزائفة للملوك والأبطال ، أو حب المغانم الشخصية والأسلاب » .. فما هو ذلك النوع من الحرب ، الذي يستثنيه الإسلام من قاعدته الدائمة : السلام ؟

نترك ذلك للمؤلف في كتابه ، كما نترك ما يطوف حول موضوع السلام والحرب في الإسلام من شبهات وظنون ، ومخاوف وأقاويل

قد يسأل القارئ ، لماذا وضع المؤلف ذلك الكتاب . . ؟ ولمن يقدمه من الناس ؟ ونعتقد أن الجواب يدلي به المؤلف نفسه في أخريات الفصل المعقود بعنوان « العقيدة والحياة » الذي جعله مطلعا لكتابه ، حيث يجيب في أخرياته من ثنايا قوله « ولقد كنا

نتجنى على عقيدتنا الضخمة .. أنها لا تسعفنا بالحلول العملية لمواجهة الحياة العصرية ومشكلاتها وبخاصة فى الحقل الاجتماعى والحقل الدولى . فأما الحقل الاجتماعى فقد صدرت فيه عدة مؤلفات تكشف الحلول العملية التى يملك الإسلام أن يواجه بها الحياة .. وأما الحقل الدولى ، فربما كان العمل فيه قليلا ، ولم تشرح هذه الناحية بعد شرحا كافيا ، وأمامنا اليوم مشكلة السلام العالمى التى تواجهها البشرية جميعا . ونواجهها نحن ضمنا . فهل للاسلام فيها رأى ؟ ولها عنده حل ؟

هذا الكتاب كله هو الإجابة التفصيلية على هذا السؤال ..

وفى سبيل هذه الإجابة ، وفى سبيل تحديد « طبيعة السلام فى الإسلام » وتفصيلها ، يقيم المؤلف هذه الطبيعة ، ويشيد ذلك السلام ، ويبنى كتابه على عمد أربعة « سلام الضمير ، وسلام البيت ، وسلام المجتمع ، وسلام العالم » فبدون واحد من هذه العمد لا يتحقق السلام فى نظر الإسلام ، بل ولا يستقيم للآخر موقف ، ولا يستقر له مكان « فالإسلام يبدأ محاولة السلام أولا فى ضمير الفرد ، ثم فى محيط الأسرة .. ثم فى وسط الجماعة .. وأخيرا .. يحاوله فى الميدان الدولى بين الأمم والشعوب »

وفى سبيل « سلام الضمير » حيث « لا سلام لعالم ضمير الفرد فيه لا يستمتع بالسلام » وفى سبيل « سلام البيت » حيث أن « الفرد الذى لا يستمتع بالسلام فى بيته » لن يعرف للسلام قيمة ، ولن يتذوق له طعما ، ولن يكون عامل سلام ، وفى أعصابه معركة ، وفى نفسه قلق ، وفى روحه اضطراب » وفى سبيل « سلام المجتمع » حيث « تتشابك المصالح ، وتتزاحم الدوافع ، ويكثر الشد والجذب ، والأخذ والعطاء » وفى سبيل « سلام العالم »

... فى سبيل كل ذلك

يستعرض المؤلف الوسائل والأسباب ، ويستكشف السبل المؤدية فى الإسلام إلى (سلام الضمير ، وإلى سلام البيت ، وإلى سلام المجتمع ، وإلى سلام العالم) على قيود النظر الإسلامية إلى الفرد والجماعة « فالفرد والجماعة فى الإسلام ليساعدوين ولا ندين ، إنما هما خلية واحدة فى صورتين : الفرد فردا ، والفرد مشتركا فى جماعة ، وقد نشأت هذه الصورة من طبيعة الاسلام واستمداد شريعته من الله لا من إنسان ، فالفرد لا يشرع للجماعات فى الإسلام ، والجماعة لا تشرع للأفراد ، إنما يخضع الفرد، وتخضع الجماعة، لذلك القانون الإلهى الذى يرعاهم جميعا، وحينما يتقرر ذلك يصبح أمن الفرد الشخصى هو أمن الجماعة الكلى ، وأمن الجماعة العام هو أمن الفرد الخاص ، بلا تعارض بينهما ولا انفصام

ثم يعقد المؤلف فصلا آخر أو بابا ختاميا بعنوان (والآن ...) يتساءل فيه عن طريقنا نحن الأمة المسلمة .؟ وكيف نواجه مسألة السلام العالمى بعقيدتنا الإسلامية . وكيف نتصرف في المجال الدولى طبقا لهذه العقيدة ، وما واجبنا تجاه الحياة .. وتجاه الإنسانية ... وتجاه أنفسنا ؟ وقبل أن يجيب الأستاذ يأخذ فى استعراض الحالة الدولية ، بما يقوم فيها من صراع ، وبما يشتجر فيها من مذاهب، حتى يخلص بنا إلى الإجابة عن هذه الأسئلة ، وإلى (طريق الخلاص) الذى نترك كتابه يتحدث عنه فى واقع منطق يعلو على الشك وعلى الجدال

ذلك هو كتاب الكاتب الداعية الأستاذ سيد قطب ، حاولت جاهدا أن أجمل فكرته للقراء فى تلك السطور

وبعد فالكتاب يقع فى ١٨٠ صفحة من القطع المتوسط ، ويتمتع بكل الخصائص الممكنة لمؤلفه ، أما ما حدث فيه من تكرار لبعض ما ورد فى كتابه العدالة ، مما قد يؤدى إلى إذهاب بعض جدته ، فلعل السبب هو التشابك والتماسك فى كليات الفكرة الإسلامية وجزئياتها ، تشابكا يرغم الباحث على التطرق لكل ما يجاور مبحثه المطروق . والكتاب أيضا كتاب فريد فى بابه ، فريد فى شموله وتكامله ، وما نزال فى انتظار كتابه التالى (نحو مجتمع إسلامى) متحضر ، لأنه (كمحاولة للقيام بدراسة وافية لمقومات المجتمع الإسلامى ودستوره كما يمكن أن تكون فى القرن العشرين) يعد أقرب الخطوات الفكرية والكشفية لطريق العمل الجدى المنتج . وللوقت السانح للوحدة الإسلامية، فإلى ذلك الحين ... وإلى ذلك الحين

محمد فياض



مسمار جحـــا

تعقيب على نقد

للأستاذ علي أحمد باكثير

اطلعت فى العدد الفائت من هذه المجلة الغراء على المقال القيم الذى كتبه الصديق الكريم الأستاذ أنور فتح الله فى نقد مسرحية (مسمار جحا) فرأيت من واجبى أن أعقب على بعض المآخذ التى أخذها على المسرحية ، شاكرا للناقد الفاضل جميل عنايته واهتمامه

المأخذ الأول : أن المؤلف قد أذاع سر مؤامرة جحا وحماد قبل عرض قضية المسمار، وبهذا قضى على عنصر التشويق فى أهم أحداث المسرحية . الخ ...

وأنا أوافق حضرة الناقد على أن فى الإمكان طي مدة المؤامرة وإخفاءها حتى تعرض القضية فى الديوان ، وإذا لكان عنصر التشويق إلى معرفة جوهر المؤامرة أقوى ، ولكنى أخالفه فى زعمه أن هذا قد أضاع الأثر القوى لهذا المشهد الذى يرمز لقضية البلاد ، وذلك لأن جو المؤامرة ليس هو الأمر المهم الذى يريد المؤلف أن يوجه إليه انتباه المشاهد للمسرحية ، فأهم من ذلك الكيفية التى تم بها تنفيذ هذه الخطة . ولا شك أن فى هذا الأمر الأخير من الجدة والطرافة مالا يؤثر معه انكشاف جوهر الخطة فى خطوطها الأولى. وحيث أن مشهد الديوان الذى عرضت فيه هذه القضية يكاد يكون رمزيا كله فلا بأس من التمهيد لذلك فى الصورة التى تعرض بها المسرحية على خشبة التمثيل، حتى لا يكتنفه الغموض فيضيع بذلك من الأثر القوى لدى المشاهدين أكثر مما قد يضيعه هذا التمهيد، أما الصورة التى تطبع بها المسرحية فى كتاب فيرى الناقد أن المؤلف قد اقتصر فى إبراز سر المؤامرة على بعض التلميحات بحيث يجلو الغموض ولا يجور على عنصر التشويق

المأخذ الثانى : يرى الناقد أن دخول امرأة جحا فى مشهد القضية قد أخذ من حرارة الأثر النفسى ... فأبطل فعل الأحداث السابقة لدخولها ... الخ ...

والرد على هذا أقول إن دخول امرأة جحا كان أساسيا ، ولا غنى عنه لعدة أسباب

١ – أن أم الغصن طرف ثالث فى هذا النزاع لا يمكن إغفاله؛ وإلا لتساءل المشاهد ما موقفها بعد خروجها من الدار ، فضلا على أن ذلك يجلو جوانب من شخصيتها ؛ فهى لا تستحى أن تبرز إلى الناس وأن تسفه زوجها أمامهم ، ولا تقيم وزنا للهدف القوى الذى يرمى إليه زوجها ، والذى اهتم به الشعب كله ؛ إذ ما كان يعنيها استياؤها من انتقالها من دار كبيرة إلى دار صغيرة، فهى هنا رمز لذلك الصنف من الناس الذين يؤثرون المغنم الصغير إذا كان خاصا بهم؛ على المغنم الكبير إذا كان عاما للوطن كله

٢ – أن ذلك يجلو أيضا جانبا من شخصية جحا، فهو أيضا لا يستحى من شئ ولا يرى بأسا من أن يكشف دخائل بيته للناس ، لثقته أن ذلك لا يغض من قيمته عند نفسه شيئا ، ولاعتقاده فى قرارة نفسه أنه هو وأهله وعياله ملك الشعب ، وهذا عنصر هام فى تكوين هذه الشخصية

٣ – أن دخول أم الغصن قد خدم غرضا هاما فى سير حوادث المسرحية ، إذ تم فى خلاله تحول غانم (صاحب الدار) من التشدد إلى التسامح البالغ لما رشاه الحاكم محاولا بذلك أن يئد القضية فى صورتها الواقعة، وأن يحولها لصالحه ويحملها تؤيد حجتها فى رمزها الكبير

٤ – فلا ينبغى لهذا الحادث إذا أن يبطل فعل الأحداث السابقة له كما زعم الناقد . وقصارى الأمر أنه يحبس الأثر مؤقتا

من صموده فى الخط الرأسى ليتسع ويتمدد فى خط أفقى ثم يستأنف الصعود إلى الأوج فى كتلة أعظم وأضخم

المأخذ الثالث : أن مشهد مقابلة الحاكم لجحا فى السجن كان طويلا حتى أصبح الحوار مباشرا بعد أن كان رمزيا ، ومال إلى النغمة الخطابية ... الخ ...

وردى على هذا أن الطول والقصر أمران نسبيان ، والطول لا يعاب إلا إذا لم يأت بجديد ، وما أحسب المشاهد على تلك الصور المتنوعة من نكات جحا التى يجمعها — على اختلافها وتنوعها — سلك واحد أمكن من خلاله عرض الخطوط البارزة فى مراحل الصراع بين الحكم الدخيل والشعب ، أما الرمزية فالواقع أنه لم يعد لها مكان فى هذا المشهد بعد ما صار الصراع بين جحا والحاكم صريحا مكشوفا ، ومع ذلك فقد احتفظ المؤلف بقدر كبير من رمزية التعبير بحيث تتسع العبارات لأكثر من الصورة الواحدة التى هى صورة الواقع ، فكانت دلالتها بذلك أعم وأشمل ، وأما النغمة الخطابية فلم تكن إلا فى مواضع خاصة لا تصلح فيها غير هذه النغمة لتساوق الحالة النفسية التى عليها جحا أو الحاكم فى تلك اللحظات ؛ وإلا كانت افتعالا غير سائغ ولا مقبول

المأخذ الرابع : يرى الناقد أن تنتهى المسرحية فى نهاية المنظر الخامس ، إذ بخروج جحا من السجن وجلاء المستعمر من البلاد تنتهى الأحداث الرئيسية للمسرحية

وهذه نقطة اختلفت فيها آراء النقاد .. فمنهم من ذهب مذهب الأستاذ أنور ، ومنهم من خالفه ، ومن هؤلاء الأستاذ زكى طليمات مخرج المسرحية الذى يرى أن ختامها ختاما قوميا سيكون أقل روعة — من الناحية الفنية — من ختامها الانسانى الذى يصور فى بيت جحا أفراح الشعب بعد انقشاع ظل الاحتلال البغيض ، كما يصور كيف انتهى الخط الثانى وهو الصراع بين جحا وامرأته فى مسألة زواج ميمونة

وخاصة إذا استحضرنا فى أذهاننا أن هذا الخط وإن أمكن اعتباره ثانويا بالنسبة إلى خط الصراع بين الشعب والمحتل الدخيل .. إلا أنه هو الخط المستمر فى بداية المسرحية إلى نهايتها فهو — بهذا الاعتبار — الخط الرئيسى فى بناء هيكلها ومن خلال حوادثه تولد خط الصراع الآخر. أما أنا فقد ترجحت زمنا بين هذين الرأيين إلى أن استقر رأيى فى النهاية على أنه لا بأس فى الصورة التى تعرض بها الرواية على المسرح من هذا الختام القوى الذى يقترحه الناقد ، وذلك مراعاة للظروف الراهنة فقط

أما فى صورتها كتابا يخرج للناس فلا غنى عندى من المشهد السادس

المأخذ الخامس : أخذ الناقد على شخصية أم الغصن أنها قليلة التطور وأنها على لون واحد . وجوابى على ذلك أن أم الغصن هى الشخصية المحورية (Pivotal character) فى المسرحية . والشخصية المحورية تكون فى الغالب مكتملة ناضجة من بدء الرواية ، وقلما تتطور كما نص على ذلك صاحب كتاب « Dramatic writing » وإنى أخالف الناقد فى قوله إن ذلك قد أدى إلى ركود فى الحركة المسرحية . والذى خبرته بنفسى أن الشاهد بعد ما عرف أم الغصن من المشهد الثانى كان دائما يستطيع أن يتنبأ بما ستتصرف به فى مختلف المواقف والأحداث اللاحقة ولكن دون أن يفقد تشوقه إلى مشاهدة ذلك . وتلك طبيعة الشخصية المحورية التى بغيرها لا يمكن أن توجد مسرحية على الإطلاق

المأخذ السادس . أن المؤلف أبرز ابن جحا « الغصن » أبله فى أقواله وأفعاله، واقتصر على إبراز هذا اللون الواحد فى كل مشهد ظهر فيه ، فهو يبحث عن ديكه ثم يتخيل أنه ذبح فيبكيه ، وهو ينقلب ديكا . وبهذا التكرار أبطل المؤلف الأثر الذى أراده لهذه الشخصية وهو إثارة الضحك

وردى على هذا أن المؤلف لم يخلق هذه الشخصية لمجرد إثارة الضحك ، بل إنها تنطوى على سيكولوجية دقيقة تجعلها طرازا جديدا فى الشخصيات ، فهذا البله الذى يتصف به الغصن بله معقد أشد التعقيد ، فهو قد ورث من أبيه خيالا خصبا واسعا

ولكنه لم يرث عنه عقله وحصانته، فلم يكن لخيـاله الجامح من شكيمة تكبحه وتجمله ينتفع به فى معالجة شؤون الواقع ، فكان ذلك المسخ المجيب الذى يجمع بين النقيضين من ذكاء وبلاهة . والأمثلة على ذلك كثيرة فى الرواية . وهـذا الاقتصار على اللون الواحد وهو اهتمامه بديكه الضائع « عرجون » أمر ضرورى لبيان مراحل التطور النفسى لهذه الشخصية العجيبة . ثم إن هذا اللون الواحد لم يلزم صورة واحدة، بل مز بأطوار سيكولوجية مختلفة .

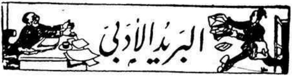
وبيان ذلك أن هذا الأبله المغفل — فيما يرى الناس — قد أحس — لا شك — مرارة السخرية ممن حوله ، فلم يكن بدعا أن يألف ديكه عرجون ويعتبره حبيبه الوحيد فى هذه الدنيا لأنه هو الوحيد الذى لا يسخر به .. هـذا هو الطور الأول ، ثم اتفق أن ضاع الديك لحزن عليـه وتخيل ما أصابه من اللصوص الذين سرقوه .. من ذبح وسلخ وطبخ وأكل كأنما يرى ذلك بعينى رأسه فبكاه أشد البكاء وشغله همه بالديك عن كل ما يضطرب حوله من الأحداث الكبيرة كعزل أبيه من منصبه وكقدوم الجراد ، وهـذا هو الطور الثانى . ثم انتقل أبوه إلى بغداد وصار قاضى القضاة فسلا النصن ديكه ببعض السلوان ، غير أن حزنه على الديك العزيز ما برح مستكنا فى أعماق نفسه ينتظر أى سبب ليثيره من جديد . وقد جاء هذا السبب لما خرج ليلعب مع رفاقه فى الشارع ؛ إذجره هؤلاء الرفاق إلى دخول الحمام ليحتالوا عليه فيكلفوه دفع أجرة الحمام عنهم جميعا ، فأوهموه بتلك الحيلة الطريفة أنهم قد انقلبوا دجاجا . وهنا يحار النصن ويقع فى ورطة لأن أمه قد حذرته من إخراج الفلوس التى معه لأى سبب من الأسباب، وإذا خياله الجامح يسعفه بالمخرج إذ خيل إليه حين وقف أمام المرآة أنه قد انقلب ديكا فهو مثلهم لا يستطيع الآن أن يدفع الأجرة . ولا شك أن لفقدة الديك المستكنة فى نفسه أثرا فى ذلك .. فها هو ذا عرجون قد رجع إلى الحيـاة فى شخصه هو فهو إذن سميه .. وهـذا هو الطور الثالث طور النقص الذى لم يدم طويلا إذ جاء حاد لحله

ثم يحبس أبوه فيحزن لذلك لأن أباه كان شديد العطف عليه ، ولم يسخر منه قط ، فانمحت صورة أبيه فى نفسه بصورة الديك . ومن ثم رأى تلك الرؤيا العجيبة التى قصها على أبيـه فى سجنه . إذ رآه كأنه انقلب ديكا كبيرا وكأنه ضمه بين جناحيه وقال له : لا تخف يا غصن . أنا ديكك عرجون قد هبطت من الجنة لأراك ، فهذا هو الطور الرابع

ويئس النصن من عودة عرجون إلى الحيـاة : سواء فى شخصه هو أو فى شخص أبيه، فأوحى إليـه خياله أن يصنع له تمثالا ليجسده فيـه . وهذا هو الطور الخامس والأخير الذى انتهت عنده المسرحية . على أن النصن بالرغم من هـذا التعقد النفسى قد أضحك الناس فيما أرى خلافا لما زعمه الناقد

وفى الختام أشكر لصديقى الناقد الجليل أن أتاح لى الفرصة لكتابة هذا التعقيب

القاهرة **على أحمد باكثير**



اللغة الأجنبية في مرحلة التعليم الأولى بمصر :

يعجبنا دائما ما نقرؤه للأستاذ (عباس خضر) بالرسالة الغراء فى توجيهاته القيمة ونقداته الهادئة كل أسبوع . . وقد كانت كلمة (اللغة الأجنبية الأولى) برسالة ٢٩ نوفمبر سنة ٩٥١ موفقة كل التوفيق فى غرضها وموضوعها — وحسبها نهايتها التى نصها : « . . إن الانجليزية فى وصفها الحالى بمصر من آثار الاستعمار الانجليزى الكريهة.. وإن الانجليز يسوءهم أن نزحزحها عن مكانتها فيجب إذن أن نزيل ذلك الأثر المنتن، وأن نسوء الانجليز فى لغتهم كما نسوءهم فى غيرها . . والوقت الحاضر هو أصلح وقت لهذه الضربة القاصمة التى ترضى الشعور الوطنى وتنال من الأعداء وتنفع البلاد . . فهيا أيها الرجل العظيم اضرب الضربة » ! . .

ولقد عملنا نحن معلمى للرحلة الأولى للتعليم فى مصر كل ما فى استطاعتنا حتى تهيأ لوزارة المعارف أن توحد المنهج فى التعليمين الأولى والابتدائى سنة ١٩٤٨ ما عدا اللغة الأجنبية البغيضة التى انفرد بها الأخير ! ! — ثم أراد الله أن نضرب هذا التعليم الضربة القاصمة أو بالأحرى أن ندحر اللغة البغيضة بأبناء الفلاحين الحفاة العراة الذين لم تلوثهم رطانة الأعجمية بتفوقهم الباهر فى امتحان الابتدائية سنة ١٩٥٠ — فقد تفوق أطفالنا فى بطون القرى وبين ثنايا الكفور على زملائهم فى عواصم المدن وأقاصى الثغور !! مع الفارق الكبير بين إعداد هؤلاء وهؤلاء فى جميع النواحى الفنية والاجتماعية .. والوطن واحد والمواطن واحد !!

ولقد آمن معالى الوزير الخطير طه حسين باشا بالعلم الأول فى مصر وأصدر منذ أسبوعين قرارا وزاريا بتسمية المدارس الأولية الحالية (مدارس ابتدائية) — ولكن القانون الجديد للمرحلة الأولى أبقى اللغة الأجنبية فى تلك المدارس . . مع أننا قرأنا أن فى معظم الدول المتمدنة لا يتعلم الطفل فى المدارس الابتدائية غير لغته الوطنية . . وأما تعلم لغة أجنبية فيبدأ بإعادة بالمدارس الثانوية، وذلك مراعاة لمدارك الطفل فى سنيه الأولى وعدم إرهاق ذهنه . .

فهل ستكون لكلمة الأستاذ (عباس خضر) لدى معالى الوزير الوطنى صداها ؟

خورشيد عبد العزيز

الى الشعراء :

إلى الأستاذ محمود غنيم ، ومحمود حسن إسماعيل ، ومحمد عبد الغنى حسن ، ومحمد الأسمر . إلى هؤلاء أولا ثم إلى بقية شعرائنا ثانيا . . إلى هؤلاء جميعا أسوق هذه الكلمات لعلهم لم يسمعوا لأنهم يعيشون فى المريخ ، أو لعلهم سمعوا ولكنهم قد شغلوا عنا بروعة المناصب وسمر الليالى الملاح

يا شعراء النيل : أريقت فى (القنال) دماء ، وأزهقت فى (الاسماعيلية) أرواح ، وتمزقت فى (بور سعيد) قلوب وأكباد ، فثارت نفوس الشعب وفارت الدماء فى عروقه وشرايينه ، وسلت السيوف من أغمادها لحماية الأرواح الغالية والدفاع عن الحق المهضوم والعرض المنتهك، ونزل إلى ساحة الاستشهاد أبطال وأبطال ، وهتف كل باللغة التى يعرفها ، وتكلم الشعب بالمنطق الذى يجب أن يكون . . وفى غمار هذه الثورة المندلعة ، والحماسة المتدفقة، والأصوات المجلجلة الرهيبة، أرهفنا آذاننا نريد أن نسمع صوت شاعر منكم . قد تجاوبت أصداء هذه المحنة فى أنحاء نفسه وحنايا ضلوعه فهزت شاعريته بنشيد يردد أو قصيدة تغنى.. فما وجدنا غير الصمت والصمت العميق .. ! إذن فأين تقال القصائد وفى أى مجال تلقى وتنشد ؟ . يا شعراء الوادى ! إذا كان كفاح هذا الشعب فى سبيل حريته غير كفيل بإثارة الشاعرية فى نفوسكم وإلهاب عواطفكم ووجدانكم . فلا نطقت ألسن الشعراء فى غير ذلك . . ! ألا حيا الله صاحب (الرسالة) .. لشد ما يرجع قلمه صدى صوت الجماهير الكادحة. والنفوس الأبية الكافحة. فيرسل كلمات صارخات تنبض بالقوة وتفيض بالإيمان . . وبارك الله فى

أستاذنا (سيد قطب) مسمر هذه الثورة بقلمه ، ومذ كي أوارها بعزيمته وإخلاصه . . ورحم الله (على محمود طه) ذلك الشاعر الخالد الذى انبعث صوته فى الأسبوع الماضى من العالم الآخر يبارك جهاد الأمة ، ويمجد كفاح الشعب . . وصدق الاستاذ المداوى حين قال : « واليوم حين تبلغ المركة أوجها يتخلف من الإنشاد شعراؤنا الأحياء .. ترى هل أنتم كما قال المداوى؟!

هارون المنيفى

كيف نشأ امام العبد

بينما كنت أتجول فى صفحات الرسالة الغراء فى العدد ٩٥٨ وقع نظرى على مقال الأستاذ (محمد رجب البيومى) تحت عنوان (محمد إمام العبد) ولما كنت أعهد فى الأستاذ الفاضل روعة العبارة ، وسلاسة الأسلوب ، جعلت أمتع نظرى بين سطور المقال مستهاما بنفثة قلمه البارعة

ونحن نشكره على هذه النفثة الجليلة التى أحيا بها تاريخ هذا الشاعر الحزين ، الذى أرخى الدهر عليه ستارا من النسيان

ولكن فاته شىء كان لزاما عليه أن يذكره ، كان يجب عليه أن يذكر نشأته الأولية ، وهل هو اكتسب الأدب من طريق التعليم ؟ أو بطريق آخر ؟ أو ألهم هذا الفن ، أو هل هذا فى عرف الأدباء ليس بالشىء .... ؟

ولما كان « إمام العبد » يكاد يكون مجهولا ، كان الأولى أن يكون المقال حافلا بتاريخه مبتدئا من نشأته إلى نهايته . ليكون القارىء ملما بتاريخه وأدبه ...

وللأستاذ الفاضل شكرى وإعجابى

دمياط محمد فتحى الجمل

شوقى والرصافى أيضا :

تحت هذا العنوان وفى تعقيبات صديقنا المداوى بعدد الرسالة (٩٥٣) أدهشتنا مقارنة أدباء العراق بين شوقى والرصافى وتقديم الثانى على الأول كما أورد ذلك صديقنا الناصرى

أنجبت مصر شوقى وحافظ ومع أنهما شاعران مصريان فقد كاد الاجماع يكون منعقدا فى مصر والأقطار العربية كلها على تقديم شوقى على حافظ ولم يشذ عن ذلك إلا فئة قليلة فى مصر

وعندما رثى أستاذنا الزيات صديقه الرصافى — برد الله ثراه — فى الرسالة الغراء غداة منعاه ؛ أذكر أنه اعتبره خامس خمسة تكونت منهم (قيثارة الشعر العربى الحديث) وإذا خانتنى الظروف فمز على أن أعثر على ذلك العدد من الرسالة فلن تخوننى الذاكرة فى استذكار ماقرره الزيات آنذاك .. حيث شبه أولئك الشعراء الخمسة الراحلين بأوتار القيثارة . فقارب بين شوقى والزهاوى ، وشابه بين حافظ والرصافى ، وأفرد المطران ، وتقسيم أستاذنا الزيات أدنى الانصاف بحيث تكون المقارنة بين شوقى والزهاوى أكثر مناسبة منها بين شوقى والرصافى . نقول ذلك وإن كنا لا نجد مبررا لهذه المقارنة ولا مجالا لها إلا إذا وضعنا فى الكفة المعادلة لكفة شوقى شاعرا كالمتنبى والمتنبى فقط ، لا ابن الرومى ولا أبا تمام اللذين زكاهما المقارنة صديقنا المداوى — مع تقديرنا لآرائه فى النقد — ورحم الله شوقى القائل :—

ولى درر الأخلاق فى المدح والهوى
وللمتنبى درة وحصاة

ثم لماذا يجنح إخواننا العراقيون إلى هذه الاقليمية البغيضة ويتهمون الرسالة وعهدنا بها منذ أن عرفناها لا تفرق بين أوطان العروبة ، بل بعكس ذلك ، فإن كتابها ينادون دائما بإزالة هذه الفوارق الوهمية القائمة فى بعض الأذهان ! حبذا لو اعتبر العراقيون شوقى شاعرهم وشاعر الأقطار الشقيقة الأخرى قبل أن يكون شاعر مصر .. لأن الشوقيات تغنت بأمجاد تلك الأقطار أكثر من تغنيها بمجد مصر . والمله من العقوق لشوقى الذى أنكر الاقليمية فى وطنه العربى الكبير أن ننظر إليه من زاويتها الضيقة المظلمة

الخرطوم جعفر حامد البشير



الدم المقـــدس

للقصصى الشاب محمد أبو المعاطى أبو النجا

كان « صلاح » يستخفه الزهو أحيانا وهو يقطع الطريق من المدرسة إلى بيته ، فيقفز فى مرح طافر، أو يضرب بقدمه حجرا صغيرا فى الطريق ، أو يصفر بصوته اللين الغض لحن أغنية سمعها من « الراديو » ...

والواقع أن « صلاح» لم يشعر بالزهو مثلما شعر به اليوم.. لقد كان يتحرق شوقا إلى مغادرة المدرسة منذ انتهاء الحصة الأولى ، أو بعبارة أدق منذ سجل الأستاذ فى كراسته بقلمه الأحمر تلك العبارة الخالدة « حسن جدا» ... ولـكنه لم يتمكن من الخروج.. ذلك أن عمى « متولى » البواب لا يسمح لأى تلميذ بالخروج قبل انتهاء الحصة الأخيرة .. ولأن جسمه الغض اللين لا يساعده على تسلق سور المدرسة المرتفع ... فكان عليه أن ينتظر ساعات وساعات حتى يدق الجرس الأخير . ولـكن ... ولـكن جلبة تسمع فى فناء المدرسة ، وهتافات تخترق النوافذ المقفلة وتصل إلى أذنيه : يسقط الاستعمار الغاشم ! يسقط الإنجليز الخونة ... فيعرف بحكم العادة أنها مظاهرة . وبحكم العادة أيضا يقفز فوق القماطر نحو باب الفصل الذى ضاق إذ ذاك بالتلاميذ المتزاحمين حياله ... ثم يمضى فى الفناء تجاه باب المدرسة المفتوح ، ثم يلقى نظرة كلها تشفٍ وشماتة إلى عمى « متولى » الذى لا يملك من أمر نفسه شيئا أيام المظاهرات .. ثم يخرج إلى الشارع لا يلوى على شيء .. وماله هو وهؤلاء الطلبة المتجمهرون إزاء النصب التذكارى بالمدرسة ؟ إنه لا يكاد يفهم الكثير مما يقوله الطلبة الكبار وهم يخطبون، فهو لا يزال فى الثانية الابتدائية .. ثم ماذا يهمه من الإنجليز ماداموا لا يأخذون منه شيئا ولا يحولون بينه وبين رغبة من رغباته، ولا بين أمنية من أمانيه ؟

هو لا يفهم لماذا يهتف الطلبة بسقوطهم ماداموا لا يتعرضون لنا بالأذى ؟ إنه يراهم يقطعون طرقات المدينة أحيانا فى عرباتهم لا يكادون يتعرضون لأحد ! ومهما يكن من شيء فهذا كله لا يهمه من قريب أو بعيد، حسبه أنه الآن فى الطريق إلى بيته . . وأنه ذاهب إلى أبيه .. وأنه سيقف أمامه مزهوا ويعرض عليه كراسته مشيرا فى اعتزاز إلى تلك العبارة الحمراء التى تدفع به إلى صفوف التلاميذ النجباء .. وإذ ذاك يجد أن من حقه أن يطالب أباه ببذلة جديدة؛ فهذا « الشورت » الأصفر وذاك القميص « الـكاكى » لا يصلحان مطلقا لطلبة السنة الثانية الابتدائية، ثم هذه الريشة.. شد ما يسره أن يجد مكانها قلما من الأبنوس، فهذا وحده هو الذى يلائم السترة الجديدة . . ثم هذه الحقيبة التى صنعتها أمه من القماش ليحمل فيها الـكتب . . إنها تـكاد تـكون الوحيدة بين حقائب التلاميذ الجلدية الفاخرة !

يا له من يوم ذلك الذى يلبس فيه السترة الجديدة وقد ظهر من جيبها طرف القلم الأبنوس وهو يحمل فى يده الحقيبة الجلدية الفاخرة ويسير فى خطوات مدلة بين التلاميذ !

وأسرع فى خطواته حين رأى فى الطريق رجلا يشبه أباه إلى حد كبير حتى لقد ظنه إياه .. وحين اقترب منه أدرك أنه ليس أباه .. وتأكد من الفارق بين هذا الرجل وبين أبيه .. إن أباه يتميز بتلك الابتسامة الحنون المشرقة التى ترف على ثغره حين يرى وحيده « صلاح » ، وبتلك النظرة الحانية الرفيقة التى تزف إلى قلب صلاح أبهج المشاعر وأنضر الأحاسيس.. ! .

وشعر بسعادة خفية تتسرب إلى وجدانه حين تذكر أباه .. وراح فى شرود لذيذ يستعرض بعض الصور فى كتاب الذكريات ..!

إنه يذكر أن أباه أخذه مرة إلى المصنع الذى يعمل به، وأن

مدير المصنع استدعاه يومذاك إلى مكتبه ، وأنه اصطحبه إلى المكتب . وحين خرجا معا من مكتب المدير بادر صلاح أباه :

— أرأيت مكتب المدير يا أبي ؟ إنه جميل . أرأيت صورة الملك المعلقة على الحائط ؟ . إنها كبيرة وأنيقة ...

ويذكر أن أباه رد على تساؤله في صوت حنون حالم ... أرجو أن أعيش حتى أتم تعليمك وأراك موظفا كبيرا تجلس إلى مكتب كبير ... ثم تابع وهو يربت على كتفه ... وفوق رأسك صورة المليك ! وهل في مقدوره أن ينسى تلك السهرات الجميلة في مقهى الدنيا الجديدة في أمسيات الجمع ... لقد كان أبوه يصطحبه في تلك الأمسيات ليسهر معه؛ وإذ ذاك يشترى له من أنواع الحلوى وطرائف اللعب ما يشيع في نفس صلاح الغبطة والمسرة ... حقا إن أباه يحبه وأنه سوف يسر كثيرا حين يقرأ تلك العبارة الحمراء التي يحس صلاح كأنها تاج غير منظور يتألق على جبينه ... وأسرعت خطواته حين اقترب من البيت ... وفرد في نشوة خفية أن يقرأ لأمه تلك العبارة الحمراء إذا كان أبوه لم يحضر بعد ... لا شك أنها هي الأخرى تسر لذلك ... ولاشك أيضا أنها سوف تكون عونا له حين يطلب إلى أبيه ما يرغب من حاجات !

واستغرقه شعور سعيد جعله يسير في هدوء كأنه يحلم ... وأخيرا قدر له أن يستيقظ من حلمه ... حلمه الجميل الذي حلق في سمواته بجناحي أبويه ... كان ذلك حين تناهى إلى سمعه صوت صراخ وعويل ... وحين تنبه إلى أن هذا الصراخ والعويل إنما ينبعثان من داره ... وحين أدرك في هذه الأصوات الجازعة صوت أمه !

جمدت قدماه فلم يستطع أن يواصل السير ... ويبست مشاعره. فلم يستطع أن يدرك ماذا حدث ، ولا أن يفهم ماذا هناك !!

كانت هناك جموع حاشدة من الناس تهرع نحو الدار، وكان بين تلك الجموع رجال الاسعاف والبوليس ، ومع ذلك فلم يستطع صلاح أن ينقل قدميه خطوة واحدة تجاه البيت ... كان يشعر بإعياء شديد يتسرب إلى حناياه . وأوشكت جموع الناس المتزاحمة أن تلقى به إلى الأرض لولا أن يدا رفيقة تمتد إليه، ووجها رحيما يعطف عليه . . ويأخذ بيده من وسط الجموع المتدافعة ... ولم ينظر إلى صاحب الوجه الرحيم حتى عرف فيه عم (فهمى) زميل أبيه في المصنع وجليسه في المقهى ... لقد انتحى به مكانا خاليا وأنهى إليه في إشفاق بالغ أن أباه قد مات ... قتله الإنجليز برصاصهم حين كان يهتف مع الجيل المتظاهرين ... ليسقط الاستعمار ... لتسقط إنجلترا ... وأنه كان معه حين لقى ربه ... وأنه أوصاه عليه قبل أن يلفظ النفس الأخير .. وراح يؤكد له وهو يجفف دموعه بمنديله أنه سيكون له مكان أبيه !

أما (صلاح) الصغير فقد لفه الصمت في غلائل الوجوم، وانتابه ذهول غريب جعله لا يدرك الأشياء من حوله إلا بالقدر الذي أدركها به محموم أمضه المرض وأنهكه الألم ، وقضى شهوراً طريح الفراش ... !!

وظل هذا الذهول الحاد الذي كان له بمثابة الخدر الذي يحقن به المريض قبل إجراء جراحة له . . . ظل هذا الذهول مهيمنا عليه ... إلى أن ترامى إلى مسمعه صوت مألوف لديه ... صوت زملائه الطلبة وقد توافدت جموعهم نحو بيت الشهيد المصرى الأول وهم يهتفون بصوت رهيب « إلى الجنة يا روح الشهيد الطاهرة .. وإلى الجحيم يا أوباش الأرض وحثالة الأمم »

ألم تكن محموما يوما وأفقت من هذيان الحمى حين لامست أنامل الطبيب الباردة جبينك المحرور . . . كانت تلك هى حال صلاح حين أفاق من ذهوله الحاد وصوت زملائه الكبار يعلو كالزئير . . . ! وبدأ يشعر بالأشياء كما هى . . أدرك أن أباه قد مات ... وأنه كان يهتف لمصر حين انطلقت رصاصة غادرة تحاول بصوتها البشع أن تسكت صوت أبيه الجميل ... !

وبدأ قلبه الصغير يستقبل المشاعر والأحاسيس ظاهرة واضحة لا يكتنفها الذهول والغموض . . . أجل كانت ظاهرة واضحة كأنها النار . وكانت لاذعة حارة كأنها الشوك . .

وبدأ جسمه الصغير يتلوى في قبضة المشاعر ، والأحاسيس .. !

... أوه ... إنه الآن يشعر شعورا مريرا بأن هؤلاء الإنجليز ... وحوش قذرة . . . أجل لأنهم قتلوا أباه في حين أن الوحوش الأخرى الكثيرة التي تملأ الحقول والصحاري والكهوف لم تحاول أن تقتله ! وبأنهم لصوص حقراء . . لأنهم سرقوا منه البذلة الجديدة والقلم الأبنوس والحقيبة الجلدية الفاخرة . . وسرقوا منه أيضا . . السهرات الجميلة في مقهى الدنيا الجديدة ، و الأمل الحلو النضير الذي أنعشه أبوه في خياله . . الأمل الذي يرى فيه نفسه موظفا كبيرا يجلس إلى مكتب كبير

إن هؤلاء اللصوص لم يسرقوا منه كل ذلك فحسب ؛ بل سرقوا شيئا آخر . وهنا ارتجفت أنامله الصغيرة وارتعش جسده النحض . . شيئا آخر لا يدري كيف يعيش بدونه . هو تلك الابتسامة الحنون المشرقة التي كانت ترف على ثغر أبيه حين يلقاه، وتلك النظرة الحانية الرفيقة التي كانت تزف إلى قلبه أبهج المشاعر وأنضر الأحاسيس

أجل تلك الابتسامة وتلك النظرة التي ألفها منذ أن كان طفلا في المهد . . ألفها حتى اقترن شكلها الخاص وطابعها المتميز بكل ما يحسه من ألوان الغبطة والسعادة . . !

أجل تلك الابتسامة وتلك النظرة لا هذه البسمات ولا هاته النظرات التي يحاول عم « فهمي » أن يخرجه بها عن أساه المرير . . !

وأحس « صلاح » مع تلك المشاعر كلها بشعور آخر ليس في مقدوره أن يتجاهله . . بل ليس في مقدور مشاعره الأخرى أن تطغى عليه . . شعور بالخجل من نفسه ومن أفكاره التي صحبته بعض الطريق عن الإنجليز

وأخيرا تختلط تلك المشاعر كلها وتندمج وتستحيل إلى شعور آخر . شعور بالحقد الدمر والغيظ الخانق والكراهية الطاغية لتلك الوحوش القذرة واللصوص الحقراء الذين يسمونهم الإنجليز !

هذا الحقد الذي برق في عينيه الصغيرتين حادا كأنه الشرر . . وتلك الكراهية التي أحالت ملامح وجهه الطفلة إلى غضون وشجون ! وعنى من أعماقه لو يكبر فجأة . . يصير رجلا كهؤلاء الناس قوى الساعد مفتول العضل . . إذن لذهب من فوره وذبح الانجليز واحدا واحدا كما تذبح الأرانب . . !

ومن جديد يضعف الجسد الصغير أمام المشاعر الثائرة الفائرة التي عصفت به فيعتريه ذهول رهيب، ويلفه الصمت في غلائل الوجوم !!

° ° °

وفي صباح اليوم التالي بفناء المدرسة يتجمهر الطلبة لدى النصب التذكاري ليقرروا الخطوات العملية التي يجب أن يخطوها تجاه المجد المنشود ! وفجأة يغرق اللغط والضجيج في موجة الصمت التي اكتسحت فناء المدرسة حين فوجئ الطلبة بتلميذ صغير يقف حيث تعود خطباؤهم أن يقفوا . . وأرهف الطلبة آذانهم حين ارتفع صوت صلاح . وقد انبعث من عينيه ذلك البريق الحاد الذي يشبه الشرر، وشاعت في وجهه تلك الكراهية الطاغية التي تحيل ملامحه الطفلة إلى غضون وشجون . . حين ارتفع صوته بهذه الكلمات . . — إخواني ..: إن الإنجليز الوحوش قتلوا أبي . . قتلوه بالرصاص . . وأنا أريد اليوم أن تأتوا معي لنقتلهم كلهم ... كلهم ... وشرقت نبراته بالدموع ولم يعد في مقدوره أن يقول شيئا . . وسالت دموعه لا على وجهه فحسب . بل على مئات الوجوه التي كانت تتطلع إليه في لهفة وجنون !!

وفجأة تجمدت تلك الدموع في العيون ولم تعد تنهمر . . وإنما استحالت إلى حقد مدمر عنيف . . وتحد قوي صارخ . . !

ألم تذهب يوما إلى حديقة الحيوان وترى « نمرا » ألح عليه أحد الزوار بما يستثير الغضب . . ؟ لقد استحال مئات الطلبة إلى نمور متوثبة تشع عيونهم بما يشبه الشرر . . وتغلي صدورهم بما يشبه النار . . وكان ذلك الشرر المدمر أو تلك النار المحرقة . هي النبات الطيب الذي تفتحت عنه أرض مصر حين ارتوت من ذلك الدم الذي أريق بالأمس . . ذلك الدم المقدس . . !!

محمد أبو المعاطي أبو النجا

ظهر المجلد الثالث

من كتاب

وحي الرسالة

فصول في الأدب والنقد والسياسة والاجتماع

والقصص

للأستاذ أحمد حسن الزيات بك

طبع طبعاً أنيقاً على ورق صقيل وقد بلغت عدد صفحاته أربعمائة صفحة ونيفاً

وهو يطلب من إدارة الرسالة ومن جميع المكتبات وثمنه أربعون قرشاً عدا أجرة البريد

مطبعة الرسالة